الطريق إلى القدس

دراسة تاريخية

في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين
منذ عصور الأنبياء وحتى القرن الحادي والعشرين

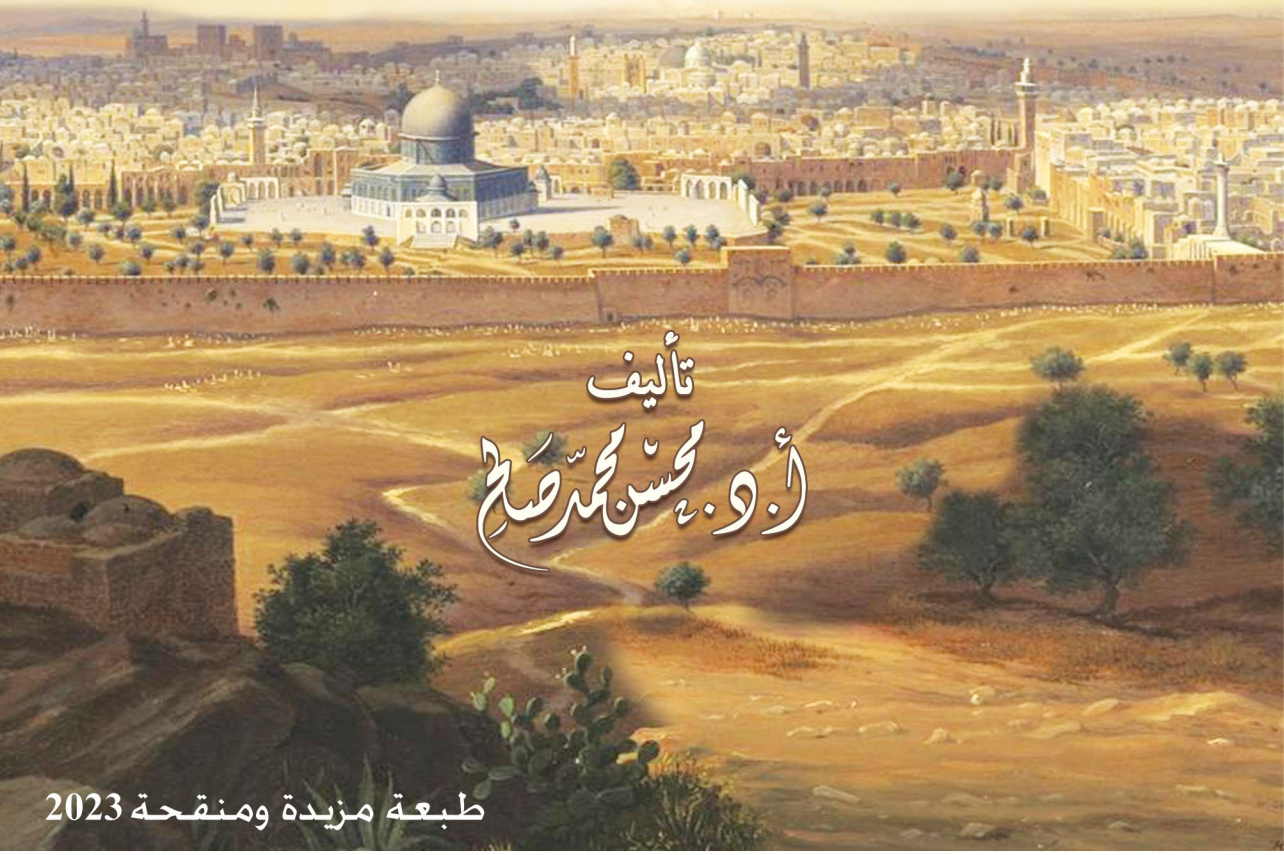

تأليف
أ.د. محسن محمد صالح

طبعة مزيدة ومنقحة 2023

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الفصل الرابع

التجربة الإسلامية على أرض فلسطين
منذ أواخر الدولة العثمانية
وحتى نهاية الاحتلال البريطاني 1948

بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net الموقع: www.alzaytouna.net

يمكنكم التواصل معنا والاطلاع على صفحات المركز عبر الضغط على التطبيقات أدناه:

المبحث الأول
التجربة الإسلامية على أرض فلسطين حتى نهاية الدولة العثمانية

أولاً: فلسطين في ظلّ الدولة العثمانية:

ظلت فلسطين تحت سيطرة دولة المماليك إلى أن قامت الدولة العثمانية بالسيطرة عليها 1516–1517. وكان لدولة الخلافة العثمانية من القوة ما مكّنها من السيطرة على معظم شرق أوروبا (بلغاريا، ويوغوسلافيا، ورومانيا، وألبانيا، واليونان، وقبرص...) بالإضافة إلى العراق، وبلاد الشام، والحجاز، واليمن، ومصر، والسودان، وليبيا، وتونس، والجزائر... . وكانت إحدى أهم وأقوى دول العالم في العصر الحديث.

وقد حافظت الدولة العثمانية على الهوية الإسلامية لأرض فلسطين، ورسختها لأربعة قرون متواصلة، كما أن أهل فلسطين كانوا يعدّون هذه الدولة دولتهم، ويشعرون بالولاء لها. وكانوا، ومعهم غيرهم من المسلمين، يتمتعون بكافة الحقوق السياسية وغيرها التي يتمتع بها الأتراك، ويشاطرون الأتراك جميع مناصب الدولة العسكرية والمدنية... .[1] فمثلاً عُيِّن موسى كاظم الحسيني، والد الشهيد عبد القادر الحسيني، متصرفاً لعسير 1892، ثم متصرفاً لنجد 1896، ثم متصرفاً للحسا 1900،... وتنقل به المقام إلى أن صار متصرفاً لحوران 1912،[2] وهو نفسه الذي قاد الحركة الوطنية الفلسطينية 1920–1934، وهناك الشيخ أسعد الشقيري، والد أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية أحمد الشقيري، الذي تولى أكبر منصب في دولة الخلافة يلي منصب "شيخ الإسلام"، كما تولى منصب مفتي الجيش العثماني الرابع... .[3]

ثانياً: التراجع الحضاري والنهضوي:

بلغت الحضارة الإسلامية ذروتها في القرن الرابع الهجري، غير أن الروح الإبداعية التجديدية أخذت تتراجع بالتدريج، حتى وإن ظلت متقدمة على غيرها لأكثر من ثلاثة قرون أخرى في المجالات العلمية.

ومنذ القرن الخامس الهجري كانت المذاهب الفقهية قد استقرت، ومال العلماء بعد ذلك إلى التقليد، وانتشرت حالة من الجمود الفقهي، الذي أضعف القدرة على التفاعل مع الحياة وقضايا العصر. وأصبح العلماء والمبدعون في العصور التالية يظهرون وكأنهم جزر معزولة أو حالات استثنائية في بيئات راكدة (أمثال ابن تيمية، وابن خلدون...).

وقد ترافق الصعود والتمدد العثماني مع حالة صعود وتغيرات جذرية أوروبية نهضوية، وسياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية. وفي الوقت الذي بلغ الصعود العثماني ذروته في القرن السادس عشر على عهد السلطان سليمان القانوني الذي انتهت بوفاته سنة 1566 السلسلة الذهبية للسلاطين العثمانيين العظام، ولتدخل الدولة في حالة من الجمود، حاولت أن تحافظ فيها على مكانتها من خلال عهود "الوزراء العظام". غير أن العائلة الحاكمة لم تتمكن من إنجاب سلاطين عظام معظم الفترة حتى أواخر القرن الثامن عشر، وعلى مدى 220 عاماً (باستثناءات محدودة). بينما واصلت أوروبا الصعود وأنجزت ثورات علمية وصناعية وثورات سياسية غيّرت النظم الدستورية في هذه البلدان. وشكلت قفزات نوعية لم يُفق عليها العثمانيون إلا والدول الأوروبية تنهش الجسد العثماني، وتضرب قلبه في مصر في حملة نابليون بونابرت سنة 1798. بينما كانت أوروبا تملؤها الجامعات، والمصانع الضخمة، والقطارات، وتسيطر سفنها التجارية على التجارة الدولية، وتستعمر بلدان العالم وتنهب ثرواتها، وتطور أنظمتها العسكرية وجيوشها وتخترع أسلحة جديدة تحسم المعارك بسرعة ودموية غير مسبوقة؛ وتنشر ثقافتها ورؤيتها الحضارية العلمانية الرأسمالية على العالم.

وإذا كانت الدولة المسلمة قد حافظت على قوتها العسكرية كقوة كبرى حتى منتصف القرن الثامن عشر؛ وتحديداً الدولة العثمانية، والدولة المغولية في الهند؛ فإنه لم يصاحبها تطور علمي وحضاري موازٍ لقوتها ومكانتها. فالدولة العثمانية حافظت على زخمها العلمي حتى القرن السادس عشر. وبرز علماء كبار أمثال تقي الدين محمد الشامي (1526–1585)، الذي كان من أكبر علماء الفلك والفيزياء والهندسة الميكانيكية في عصره؛ والمهندس المعماري سنان (1489–1588)، الذي يُعدُّ من أبرز مهندسي المعمار عبر التاريخ؛ وأحمد محيي الدين بيري "بيري ريس" (1470–1554)، القائد والمستكشف البحري الذي كان أول من رسم أقرب الخرائط للدقة للسواحل الشرقية لأمريكا الشمالية والجنوبية، وسواحل غرب إفريقيا (خريطتين في 1513 و1528).

وفي الوقت نفسه، فإن حالة الجمود الفقهي انعكست سلباً على تفاعل العلوم الشرعية مع الحياة، واجتراح الحلول المناسبة لتطوير المنظومات السياسية والاقتصادية والتعليمية. وكان من نماذج ذلك أن الدولة العثمانية لم تستفد من القفزة العلمية الهائلة التي وفرتها عملية اختراع الطباعة في أوروبا منذ منتصف القرن الخامس عشر، وتأخرت نحو 300 عام عن الركب الأوروبي في بدء عجلة الطباعة لديها بشكل بطيء ومتردد. وبغضّ النظر عن مدى صحة الفتاوى التي أصدرها علماء الدولة العثمانية بتحريم الطباعة أو أوامر منع الطباعة في عهد السلطان بايزيد سنة 1485، وابنه السلطان سليم سنة 1515؛ فإنه من الواضح أن عملية الطباعة لم يُعمل بها، أو لم يكن مسموحاً بها، إلا لليهود والمسيحيين حتى القرن الثامن عشر. ولم تُنشئ الدولة العثمانية أي مطبعة رسمية إلا سنة 1727 بفرمان أصدره السلطان محمد الثالث؛ حيث تمت إجازة طباعة الكتب العلمية، مع الاستمرار في منع طباعة الكتب الشرعية. ولم تتم طباعة المصحف في إسطنبول إلا سنة 1877؛ مع قُرب أفول الدولة العثمانية.

هذا الجمود الفقهي، انعكس بشكل ضار، مثلاً، على حالة النهوض العلمي التي كان يقودها العالم الكبير تقي الدين الشامي، عندما أفتى شيخ الإسلام قاضي زادة، مفتي الدولة العثمانية، بعدم مشروعية الرصد والمرصد الذي أنشأه تقي الدين وشنَّ حملة ضده، فتم تدميره سنة 1580، وكان أحد أبرز المراصد الفلكية في العالم في ذلك الوقت.

وكان ثمة عجز شبه كامل في التعامل مع التطور الاقتصادي العالمي والأنظمة البنكية وشركات التأمين وغيرها، مما اضطر الدولة العثمانية لتبني منظومات القوانين الغربية، منذ منتصف القرن التاسع عشر دون تقديم حلول إسلامية؛ كما ظلّت المنظومات التعليمية على تأخرها وتخلفها مقارنة بنظيرتها الغربية التي سبقتها بقرون.

ثالثاً: ظهور المشروع الصهيوني:

فَقَدَ اليهود صلتهم بفلسطين عملياً مدة 1,800 عام، ولم يكن لديهم سوى العاطفة الدينية، التي رفض أحبارهم وحاخاماتهم وقادتهم تحويلها إلى برنامج عملي؛ لأنهم كانوا يؤمنون أنهم استحقوا تدمير دولتهم وشتاتهم بسبب خطاياهم، وأن عليهم انتظار المسيح المخلِّص الخاص بهم "الماشياح Mashiah" أو "المسيا Messiah"، وعند ذلك يجوز لهم الاستقرار في فلسطين وإقامة كيانهم.

غير أن إنشاء المنظمة الصهيونية العالمية (World Zionist Organization (WZO، وانعقاد مؤتمرها الأول في بال بسويسرا في 29–1897/8/31 بزعامة ثيودور هرتزل Theodor Herzl، كان فاتحة العمل الصهيوني السياسي المؤسسي المنظم لتأسيس الدولة اليهودية على أرض فلسطين. وقد حرص هرتزل على تحقيق المشروع الصهيوني من خلال الاتصالات الديبلوماسية، ومحاولة تشجيع القوى الكبرى، وخصوصاً بريطانيا، على تبنّي هذا المشروع، في ضوء المصالح والفوائد التي يمكن أن يجنيها الغرب الاستعماري الصليبي.

تعود أسباب نشأة الحركة الصهيونية، التي سعت لإنشاء كيان يهودي في فلسطين، إلى ظهور النزعات الصهيونية المؤيدة لتجميع اليهود في فلسطين، وسط مسيحيي أوروبا، وخصوصاً البروتستانت منذ القرن السادس عشر الميلادي. وتعود أيضاً إلى فشل حركة الاستنارة اليهودية "الهسكلا" التي سعت إلى دمج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها. كما تعود إلى ظهور الأيديولوجيات القومية والوطنية ونشوء الدولة القومية في أوروبا، وما انبنى عليها من "تحرر اليهود" وتحولهم إلى مواطنين، خصوصاً في القرن التاسع عشر، ورغبة أعداد من اليهود في أن تكون لهم أرض يحكمونها، ويعيشون فيها قوميتهم. وتعود من جهة أخرى إلى نشأة "المشكلة اليهودية" خصوصاً في أوروبا الشرقية، وما تعرض له اليهود من اضطهاد على يد الروس، والتي دفعت عدداً من اليهود للمطالبة بملاذ آمن لهم وبدولة خاصة باليهود، وقد استفاد اليهود في سبيل تحقيق ذلك من تمكُّن بعضهم من الوصول إلى دوائر النفوذ والقرار في أوروبا وأمريكا. ثم إن عدداً من بلدان أوروبا الغربية وأمريكا لم يكن يرغب باستيعاب موجات الهجرة اليهودية القادمة من شرق أوروبا، وكانت تريد تحويل هذه الموجات إلى خارج بلدانها.

وأسهم ضعف الدولة العثمانية، التي كانت فلسطين تحت حكمها خلال الفترة 1516–1917، وسعْيُ الدول الغربية لتقاسم أراضيها، إلى بروز أجواء عملية أفضل لتأسيس المشروع الصهيوني. إذ كانت هناك رغبة غربية بملء الفراغ الذي سينتج عن سقوط الدولة العثمانية، ومنع نهوض قوة إسلامية كبرى تَخْلُف العثمانيين. وقد ظهرت في ذلك الوقت فكرة إنشاء دولة حاجزة شرقي قناة السويس وغربي بلاد الشام، في أواخر القرن التاسع عشر، بحيث يتم غرس كيان غريب في قلب العالم الإسلامي، ليقوم بدور "الدولة الحاجزة"، وليفصل جناحه العالم الإسلامي الآسيوي عن جناحه

الإفريقي، ويمنع وحدته، ويضمن ضعفه وتفككه، ويبقيه عاجزاً عن النهضة، قابعاً في دائرة التبعية، منتجاً للمواد الأولية وسوقاً استهلاكيةً للمنتجات الغربية.

وبالتالي، فإن معادلة بقاء الكيان اليهودي الصهيوني واستقراره ونموه، في وسطٍ معادٍ، مرتبطةٌ بضمان ضعف ما حوله من أقطار المسلمين وتفككها وتخلفها. وكذلك فإن معادلة نهضة الأمة ووحدتها وقوتها مرتبطةٌ بالقضاء على المشروع الصهيوني الجاثم على قلبها.

رابعاً: موقف الدولة العثمانية:

يُعدّ السلطان عبد الحميد الثاني (1876–1909) آخر السلاطين العثمانيين، الذين كان للدافع الديني في عهودهم الدور الأول، حيث كان يتم من خلال الولاء للفكرة الإسلامية تحقيق استقرار الشعوب المسلمة المتباينة الأجناس والأقاليم.[4]

وفي غمرة التحديات التي عصفت بالدولة العثمانية، والمشاكل التي واجهتها، ظهرت أفكار متعددة تدعو للإصلاح، إلا أن السلطان عبد الحميد، ومعه في ذلك العديد من المفكرين، رأوا أن قوة المسلمين تكمن في وحدتهم تحت راية الخلافة الإسلامية والتي تستطيع بما تملكه من سلامة المنهج وأصالة التجربة الحضارية أن تواجه الحضارة الغربية، وتوقف التوسع الاستعماري الأوروبي،[5] لقد رأى السلطان عبد الحميد أن القوة التي ينشدها تكمن في الإسلام، وفي ذلك يقول "إن الإسلام هو القوة الوحيدة التي تجعلنا أقوياء، ونحن أمة حية قوية، ولكن شرط أن نصدُق في ديننا العظيم".[6]

وحاول السلطان عبد الحميد أن يبعث الحيوية في نظام الخلافة من جديد فعمد إلى توثيق سلطة الخليفة على المسلمين وإعطاء الخلافة هيبتها ومكانتها، وحرص، إنجاحاً لسياسته، على أن يكمل الخط الحديديُّ الحجازي سنة 1908، الذي يصل إسطنبول بالمدينة المنورة، والذي جُمعت ثلث تكاليفه من المسلمين في العالم.[7] وخلال أيام عبد الحميد كانت فكرة الجامعة الإسلامية ذائعة الصيت ومنتشرة بين الناس، ولم يفكر العرب طوال حكمه بالانفصال عن الدولة لأن أهم أسباب الثورة العربية، فيما بعد، كانت سياسة التتريك التي اتبعتها جمعية الاتحاد والترقي Committee of Union and Progress التي خلعت السلطان عبد الحميد وحكمت بعده.[8]

أخذت الهجرة اليهودية إلى فلسطين تتخذ طابعاً أكثر تنظيماً وكثافة منذ سنة 1882 إثر تصاعد "المشكلة اليهودية" في روسيا، وعندما تكشفت للدولة العثمانية مخاطر المشروع الصهيوني قامت السلطات العثمانية بعدد من الإجراءات لمنع الاستيطان اليهودي في فلسطين، فحاربت الهجرة اليهودية إليها، ومنعت بيع الأراضي لليهود، وقامت سنة 1887؛ بفصل سنجق القدس عن ولاية سورية، وأخضعته بصورة مباشرة للباب العالي من باب زيادة الاهتمام بفلسطين، وإفشال المخطط الصهيوني – الغربي فيها.[9]

وكان للسلطان عبد الحميد موقفه المتسق تماماً مع الفكرة الإسلامية باعتبار أرض فلسطين جزءاً من أرض الإسلام والمسلمين المقدسة، التي لا يجوز التفريط بأي جزء منها. وعندما عرض مؤسس الحركة الصهيونية ثيودور هرتزل على السلطان عبد الحميد، عن طريق صديقه فيليب نيولنسكي Philipp Newlinski، بيع فلسطين لليهود، أجابه السلطان بما يلي:

> إذا كان هرتزل صديقك بقدر ما أنت صديقي فأنصحه أن لا يسير أبداً في هذا الأمر. لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد؛ لأنها ليست لي، بل لشعبي. ولقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بإراقة دمائهم، وقد غذّوها فيما بعد بدمائهم، وسوف نغطّيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منّا. لقد حاربت كتيبتنا في سورية وفي فلسطين، وقتل رجالنا الواحد تلو الآخر في بلقنة؛ لأن أحداً منهم لم يرضَ بالتسليم، وفضَّلوا أن يموتوا في ساحة القتال. الإمبراطورية التركية ليست لي وإنما للشعب التركي، لا أستطيع أبداً أن أعطي أحداً أي جزء منها. ليحتفظ اليهود ببلايينهم، فإذا قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل، إنما لن تقسم إلا على جثثنا، ولن أقبل بتشريحنا لأي غرض كان.[10]

وتعدّدت محاولات هرتزل وعروضه السخية المختلفة دونما فائدة، ومات سنة 1904 دون أن يحقق أهدافه، وهكذا ظلّ السلطان عبد الحميد الثاني عقبة في وجه المشاريع الصهيونية طيلة سنوات حكمه منطلقاً في ذلك من سياسته الإسلامية، ومن معرفته بحقيقة الأطماع الصهيونية. ويذكر عبد الحميد في مذكراته "وانتظم يهود العالم وسعوا، عن طريق المحافل الماسونية، في سبيل "الأرض الموعودة"... وجاؤوا إليَّ بعد فترة، وطلبوا مني أرضاً لتوطين اليهود في فلسطين مقابل أموال طائلة، وبالطبع رفضت"،[11] وكان السلطان يعدّ نفسه أكبر أعدائهم،[12] ويذكر أنه إذا ما سمح لليهود بالتوطن في فلسطين

فإننا "نكون قد وقّعنا قراراً بالموت على إخواننا في الدِّين" ويقصد الفلسطينيين،[13] ويؤكد الخلفية الإسلامية لارتباطه بفلسطين قائلاً: "لماذا نترك القدس؟... إنها أرضنا في كل وقت وفي كل زمان، وستبقى كذلك فهي من مدننا المقدسة، وتقع في أرض إسلامية، لا بدّ أن تظل القدس لنا".[14]

غير أن الدولة العثمانية التي كانت في أواخر عهدها، وقد اشتد فيها الفساد الإداري، واخترقتها المنظمات الماسونية والعلمانية لم تستطع أن تحقق أهدافها بالكامل في منع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وانتقال الأراضي إلى اليهود، فكانت هناك مداخلات السفراء الأجانب الذين تمسكوا بالامتيازات الأجنبية، وأعاقت احتجاجاتهم تنفيذ قيود الهجرة اليهودية، وكان هناك ما عرف بـ"حزب البخشيش"!! المستشري في الجهاز الإداري، والذي كان يتحايل على القانون مقابل الرشاوي، ويسهل هجرة اليهود واستيطانهم.[15] وخلال الفترة 1881–1914 هاجر إلى فلسطين 55 ألف يهودي من أصل مليونين و367 ألفاً من اليهود تركوا مواطنهم إلى أماكن أخرى في العالم، أي ما نسبته 2.3% من المجموع الكلي للمهاجرين،[16] مما يدل على نجاح السلطات العثمانية إلى حدٍّ ما في الوقوف أمام حركة الهجرة اليهودية.

ومن المهم الإشارة إلى أن الدولة العثمانية فقدت الكثير من مصداقيتها الإسلامية خصوصاً بعد انقلاب جمعية الاتحاد والترقي على السلطان عبد الحميد سنة 1909، وقد كان هذا الحزب الذي سيطر على تركيا فيما بعد معادياً للفكرة الإسلامية، منتهجاً سياسة التتريك، مُسيطراً عليه من قبل المحافل الماسونية التي يهيمن عليها اليهود، حتى إن الناس علقوا على الثورة التي أسقطت عبد الحميد بأنها ثورة يهودية أكثر منها تركية،[17] بل إن أحد الثلاثة الذين أوفدتهم جمعية الاتحاد والترقي لإبلاغ السلطان عبد الحميد قرار خلعه عن العرش كان يهودياً يدعى "إيمانويل قره صو Emanuel Karasu"، وكان السلطان قد طرده من مجلسه في قصر "يلدز" حين حاول التأثير عليه لإسكان اليهود في فلسطين.[18]

وقد ذكر السفير البريطاني في تركيا لوزير خارجيته في مذكرته التي رفعها إليه في آب/ أغسطس 1910 "إن لجنة الاتحاد والترقي تبدو في تشكيلها الداخلي تحالفاً يهودياً تركياً مزدوجاً... إن اليهود الذين يبدون الآن في موقف الملهم والمسيطر على الجهاز الداخلي للدولة يعملون على السيطرة الاقتصادية والصناعية على تركيا الفتاة...".[19]

بل إن السلطان عبد الحميد ذكر في رسالة إلى الشيخ محمود أبو الشامات في سنة 1911، أن سبب خلع الاتحاد والترقي له من السلطة هو إصرارهم عليه أن يصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة (فلسطين)، فرفض وذكر لهم أنهم لو دفعوا ملء الأرض ذهباً فلن يرضى بذلك.[20]

وبالإضافة إلى ما سبق، فقد انتشرت المفاسد المنافية لأحكام الإسلام وآدابه كالملاهي والمراقص والحانات، والتعامل بالربا، فأصبح عامة الناس يرَون جمعية الاتحاد والترقي بعيداً عن الإسلام، وخارجاً عن تعاليمه، وحدثت ردود فعل معادية لهذه المفاسد في فلسطين وسورية.[21]

ولذلك، لم يكن غريباً أن تظهر حركات معادية لحكم الاتحاد والترقي في البلاد العربية، وطالب جُلُّها في البداية بالإصلاح ضمن الدولة العثمانية، ولكن عندما لم تتم الاستجابة لتلك المطالب قامت الثورة العربية الكبرى سنة 1916، وأيّدها الكثير من رجال الفكر والإصلاح.[22]

وخلال الحرب العالمية الأولى فقدت الدولة العثمانية ما تبقى لها من أرض تحكمها في البلاد العربية (اليمن، والحجاز، والعراق، والشام)، ثم أعلن كمال أتاتورك الجمهورية التركية سنة 1923، وأسقط الخلافة العثمانية سنة 1924. وبذلك فَقَد المسلمون لأول مرة مِظلّة الخلافة الإسلامية، وتوزعت بلادهم على الدول الاستعمارية.

المبحث الثاني
التجربة الإسلامية على أرض فلسطين تحت الاحتلال البريطاني 1917–1948

أولاً: الاحتلال البريطاني لفلسطين وسياساته:

تبنّت بريطانيا المشروع الصهيوني، فأصدرت تصريح بلفور الذي اشتهر بـ"وعد بلفور" في 1917/11/2 بتعهدها بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. وتمكنت من إتمام احتلالها لفلسطين في أيلول/ سبتمبر 1918، وتنكرت لوعودها للعرب بزعامة الشريف حسين بالحرية والاستقلال، وقسّمت دوائر النفوذ في بلاد الشام والعراق بينها وبين فرنسا، وفق اتفاقية سايكس – بيكو Sykes–Picot (أيار/ مايو 1916) التي خَطَّطت لجعل فلسطين منطقة دولية. وأتمّ البريطانيون احتلال جنوب فلسطين ووسطها في كانون الأول/ ديسمبر 1917، واحتلوا القدس في 1917/12/9. وخطب قائد الجيش البريطاني اللنبي Allenby في القدس محتفلاً بانتصاره قائلاً: "والآن انتهت الحروب الصليبية"،[23] وكأن حملتهم على فلسطين كانت آخر حملة صليبية، وكأن الحروب الصليبية لم تتوقف منذ أن شنّها الأوروبيون قبل ذلك بأكثر من 800 عام. وفي أيلول/ سبتمبر 1918، احتل البريطانيون شمال فلسطين، كما احتلوا في أيلول/ سبتمبر – تشرين الأول/ أكتوبر 1918 شرق الأردن وسورية ولبنان. ومنذ ذلك الوقت فتَحَت بريطانيا بالقوة مشروع التهويد المنظّم لأرض فلسطين. ثم إن بريطانيا استأثرت بفلسطين وفق اتفاقيات سان ريمو (نيسان/ أبريل 1920) مقابل إطلاق يد الفرنسيين في سورية. وقد وفّرت بريطانيا لنفسها غطاءً دولياً باستصدار قرار من عصبة الأمم في 1922/7/24 بانتدابها على فلسطين، وتمّ تضمين وعد بلفور في صكّ الانتداب، بحيث أصبح التزاماً رسمياً معتمداً دولياً.

وعلى أي حال، فقد عاشت فلسطين تحت الاحتلال البريطاني مؤامرة رهيبة، فحُرم أهل فلسطين من بناء مؤسساتهم الدستورية وحُكْم أنفسهم، ووُضعوا تحت الحكم البريطاني المباشر، وأُعطي "المندوبون السامون" صلاحيات مطلقة. وضُيّقت بريطانيا على الفلسطينيين سبل العيش وكسب الرزق، وسَعَت لتعميق الانقسامات العائلية

والطائفية وإشغال أبناء فلسطين ببعضهم. وفي المقابل شجعت الهجرة اليهودية، فزاد عدد اليهود من 55 ألفاً (8% من السكان) سنة 1918 إلى 646 ألفاً (31.7% من السكان) سنة 1948. وبالرغم من الجهود اليهودية – البريطانية المضنية للحصول على الأرض، إلا أن اليهود لم يتمكنوا من الحصول سوى على نحو 6% من فلسطين بحلول سنة 1948، كان معظمها إما أراضٍ حكومية، أو أراضٍ باعها إقطاعيون غير فلسطينيين كانوا يقيمون في لبنان وسورية وغيرها، وقد بنى اليهود على هذه الأراضي 291 مستعمرة. وأسس اليهود الوكالة اليهودية سنة 1929، والتي تولت شؤون اليهود في فلسطين، وأصبحت أشبه بدولة داخل دولة لما تمتعت به من صلاحيات واسعة. وأقام اليهود مؤسسات اقتصادية واجتماعية وتعليمية ضخمة، شكلّت بنية تحتية قوية للدولة اليهودية القادمة.[24]

اتفاقية سايكس – بيكو 1916

وفي الوقت الذي كانت السلطات البريطانية تسعى حثيثاً لنزع أسلحة الفلسطينيين، وتقتل أحياناً من يحوز سلاحاً نارياً، بل وتسجن لسنوات من يملك رصاصات أو خنجراً أو سكيناً طويلاً، فإنها غضّت الطرف، بل وشجعت سرّاً تسليح اليهود لأنفسهم، وتشكيلهم قوات عسكرية وتدريبها، بلغ عددها مع اندلاع حرب 1948 أكثر من 70 ألف مقاتل؛ 64 ألف مقاتل من الهاجاناه Haganah، و5 آلاف من الأرجون Irgun، وألفين من شتيرن Stern... وغيرها، وهو عدد يبلغ أكثر من ثلاثة أضعاف الجيوش العربية السبعة عندما دخلت في حرب 1948!![25]

وهكذا، فإن الظلم والقهر والمحاباة كان السمة الأبرز للاستعمار البريطاني لفلسطين.

خريطة فلسطين تحت الاحتلال البريطاني

ثانياً: الحركة الوطنية الفلسطينية:

بالرغم من حالة الإنهاك التي خرج بها الفلسطينيون من الحرب العالمية الأولى، وبالرغم من وقوع البلاد العربية من حولهم، والعالم الإسلامي بشكل عام، تحت سطوة الاستعمار ونفوذه، وبالرغم من ضعف إمكاناتهم المادية، وانعدام أدوات الضغط والنفوذ السياسي لديهم، مقارنة بما حظِيَ به المشروع الصهيوني من دعم يهودي عالمي، ومن رعاية القوى العظمى له، بالرغم من ذلك كله، فإن التمسك بحقهم الكامل في فلسطين، والإصرار على استقلالهم مهما كلّف الثمن، كانت السمة الأبرز لنشاطهم السياسي الجهادي طوال فترة الاحتلال البريطاني. وقد تمحور النشاط السياسي الفلسطيني حول مطالب محددة أبرزها:

- إلغاء وعد بلفور لما يتضمنه من ظلم وإجحاف بحقوق الأغلبية الساحقة من السكان.
- إيقاف الهجرة اليهودية.
- وقف بيع الأراضي لليهود.
- إقامة حكومة وطنية فلسطينية منتخبة عبر برلمان (مجلس تشريعي) يمثل الإرادة الحقيقية الحرة للسكان.
- الدخول في مفاوضات مع البريطانيين لعقد معاهدة، تؤدي في النهاية إلى استقلال فلسطين.

وعلى هذه الأسس نشأت الحركة الوطنية الفلسطينية.

ونظَّم الفلسطينيون أنفسهم من خلال عقد مؤتمرات تمثلهم، حيث أقاموا سبعة مؤتمرات، وبرز في قيادة الحركة الوطنية رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني موسى كاظم الحسيني الذي استمر في الزعامة الرسمية للحركة الوطنية حتى وفاته في آذار/ مارس 1934. غير أنه من الناحية الفعلية برز اسم الحاج أمين الحسيني، الذي أصبح مفتي القدس سنة 1921، ورئيس المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى منذ تأسيسه سنة 1922، والذي غدا أهم قلعة للحركة الوطنية والقوة الدافعة خلفها. وبوفاة موسى كاظم الحسيني، أصبح الحاج أمين زعيم فلسطين دون منازع حتى نهاية الاستعمار البريطاني سنة 1948. ونزل الحاج أمين للميدان عند اندلاع الثورة الكبرى 1936–1939، حيث تمّ توحيد الأحزاب العربية، وتشكيل اللجنة العربية العليا، التي تولى رئاستها الحاج أمين الحسيني بنفسه، في 1936/4/25.

وبعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية أعاد الفلسطينيون ترتيب أنفسهم، وشكّلوا "الهيئة العربية العليا"[26] برئاسة الحاج أمين الحسيني في 1946/6/11. وعندما دخلت الجيوش العربية فلسطين في أيار/ مايو 1948، منعت الحاج أمين الحسيني من دخول فلسطين أو الوجود في الأماكن التي سيطرت عليها، ولم تمكِّن الأنظمة العربية الحاج أمين ورفاقه من تولي تنظيم وقيادة الشعب الفلسطيني في المناطق المحررة، بل باشرت بنفسها نزع أسلحة الفلسطينيين، وخصوصاً جيش "الجهاد المقدس" الذي نظمته الهيئة العربية العليا. وبالرغم من أن الهيئةَ شكَّلت حكومةَ عموم فلسطين في 1948/9/23، وأعلنت استقلال فلسطين في مؤتمر غزة في 1948/10/1، إلا أنها جوبهت بخصومة بعض الأنظمة العربية وبتجاهل بعضها الآخر، ومُنعت من ممارسة سلطتها فيما تبقى من فلسطين (الضفة والقطاع)؛ بينما نَوَى تأثيرها في الخارج في السنوات التالية.

وفي حرب 1948 تمكّنت القوات اليهودية الصهيونية، المدعومة بالقوى الغربية، من السيطرة على نحو 77% من أرض فلسطين، 20,770 كم^2 من أصل 27,009 كم^2، وإنشاء الكيان الصهيوني الغاصب عليها، وشرَّدت بالقوة 800 ألف فلسطيني خارج المنطقة التي أقاموا عليها كيانهم، وذلك من أصل 925 ألفاً كانوا يسكنون في هذه المنطقة، كان المجموع الكلي للفلسطينيين في نهاية سنة 1948 نحو مليون و390 ألف نسمة. أما بالنسبة لما تبقى من فلسطين فقد قام الأردن بضم الضفة الغربية رسمياً إليه، 5,876 كم^2، كما وضعت مصر قطاع غزة، 363 كم^2، تحت إدارتها. وقد وافقت الأمم المتحدة على دخول الكيان الصهيوني "إسرائيل" في عضويتها، شرط السماح بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أرضهم، وهو ما لم يفعله الكيان الصهيوني مطلقاً.

نتائج حرب 1948

ثالثاً: المسار العام لتجربة التيار الإسلامي:

حتى منتصف الثلاثينيات لم تظهر حركات إسلامية منظمة ذات منهجية محددة، إلا أن التأثير السياسي والاجتماعي للعلماء كان واضحاً وقوياً، كما أن المشاعر الشعبية الإسلامية كانت ما تزال عميقة في نفوس الشعب الفلسطيني، ولا يوجد هناك ما ينافسها، ولذلك فقد اكتسب التحرك الشعبي طبيعة إسلامية، وتميزت الانتفاضات التي وقعت في تلك المرحلة إما بطبيعتها الإسلامية الكاملة، وإما بعمق التأثير الإسلامي فيها. غير أن الطابع الإسلامي الحركي أخذ شكلاً أكثر وضوحاً مع إطلاق حركة الجهادية "جماعة القسام" للثورة في سنة 1935، ومع انتشار جماعة الإخوان المسلمين في الأربعينيات. وكان الحاج أمين الحسيني أبرز الرموز الفلسطينية التي قادت تلك المرحلة، وقدم نموذجاً لـ"الإسلامية الوطنية" في إدارة الشأن الفلسطيني.

كانت أولى الجمعيات السرية العسكرية التي حملت مشروع المقاومة هي جمعية "الكف الأسود" التي تأسست أوائل سنة 1919، وغيَّرت اسمها إلى جمعية "الفدائية" في أيار/ مايو 1919، وقد كان مركزها يافا، وتكوّنت لها فروع في القدس، وغزة، ونابلس، وطولكرم، والرملة، ورام الله، والخليل، وتولى زعامتها في البداية محمد الدباغ، ثم محمود عزيز الخالدي، واستمرت بأشكال مختلفةٍ حتى سنة 1923. ونشطت في تجنيد الأعضاء وسط الضباط والشرطة الفلسطينيين، وممن لهم خبرة عسكرية سابقة. وكان لعلماء القدس دورٌ أساسي في إنشائها والإشراف عليها، فقد تأثرت بشخصية الحاج أمين الحسيني كثيراً حيث كان أعضاؤها يقسمون أن يفدوا الحاج أمين بأرواحهم.[27] وكان من الشخصيات الموجهة لجمعية "الفدائية" في الخفاء الشيخ سعيد الخطيب، والشيخ حسن أبو السعود، والشيخ محمد يوسف العلمي. وقد وصف تقرير مخابراتٍ بريطاني الشيخ محمد يوسف العلمي، أنه "نشيط جداً، وأنه قوة محركة خلف الأضواء في كل الجمعيات أعظم خطر كامن وسط المحرضين في القدس". وبالرغم من أنه تمّ القبض على كثير من عناصرها، إلا أنه يظهر أن أفرادها شكَّلوا عناصر تحريض مهمة في انتفاضة موسم النبي موسى في القدس في نيسان/ أبريل 1920.[28]

خلال الفترة 1920–1929 وقعت ثلاث "ثورات" أو انتفاضات شعبية عبّرت بشكل قوي عن الغضب الشعبي العارم من المشروع الصهيوني، غير أنها وَجَّهت غضبها ضدّ

اليهود، وحاولت تجنب البريطانيين، لكن الدور الأساسي في قمع هذه الثورات كان للبريطانيين. فكانت ثورة موسم النبي موسى في 4–1920/4/10 في القدس، التي حدثت في أثناء احتفالات المسلمين بهذا الموسم الديني، واندلعت شرارتها عندما لوَّث أحد اليهود أحد الأعلام الإسلامية لموكب الخليل. وقد أدّت إلى مقتل 5 يهود وجرح 211 آخرين، ومقتل 4 عرب وجرح 24 آخرين. وقد كان للحاج أمين دورٌ رئيسيٌّ في تدبير الثورة، واضطر الحاج أمين وعارف العارف للهرب إلى شرق الأردن، بعد انكشاف دورهما للسلطات البريطانية، وحكم عليهما غيابياً بالسجن عشرة أعوام. غير أن المندوب السامي أصدر عفواً عنهما، طمعاً في استيعاب وتطويع الحاج أمين ورفيقه.

أما ثورة يافا 1–1921/5/15 التي اندلعت في يافا، وشملت أجزاء من شمال فلسطين، فقد كان أحد أسبابها السلوك الاستفزازي لليهود ضدّ دين وأخلاق وآداب المسلمين.[29] وقد أدت إلى مقتل 47 وجرح 146 يهودياً، بينما قتل 48 وجرح 73 عربياً.

أما ثورة البراق التي تصاعدت أحداثها منذ 15 آب/ أغسطس واستمرت حتى 1929/9/2، وقد خاضها المسلمون دفاعاً عن الحق الإسلامي في حائط البراق، الحائط الغربي للمسجد الأقصى المبارك، ضدّ الاعتداءات اليهودية وفي مواجهة المطالبات اليهودية بامتلاكه باعتباره "حائط المبكى" الذي يقدسونه، ويُصلُّون عنده، وانتشرت الثورة في كافة أرجاء فلسطين، وأدت إلى مقتل 133 وجرح 339 يهودياً، وقتل 116 عربياً وجرح 232 آخرين. وقد كان للحاج أمين الحسيني دور أساسي سرِّي في ثورة البراق. أما القيادة السياسية الرسمية الفلسطينية فقد ظلّت متمسكة بالأساليب السلمية، بل وسَعَت إلى تهدئة مشاعر الغضب واستيعابها.[30]

سعى أبناء فلسطين في تلك الفترة إلى تأكيد البُعد العربي والإسلامي لقضية فلسطين وتفعيله. فنقلت التقارير في أيار/ مايو 1931 وجود مخطط ثوري جهادي يستهدف إنقاذ البلاد العربية وخصوصاً فلسطين وسورية، وأن الأمير شكيب أرسلان، وهو إسلامي لبناني، كان زعيم هذه الحركة، ويشترك معه في المخطط الحاج أمين الحسيني وشوكت علي الزعيم الهندي المعروف، وكان على اتصال بزعماء الحركات العربية في الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر. لكن المخطط لم يُكتب له النجاح.[31] وفي 7–1931/12/17 انعقد في القدس المؤتمر الإسلامي العام برئاسة الحاج أمين الحسيني، وبحضور مندوبين عن 22 بلداً، وتكرّس فيه البُعد الإسلامي لقضية فلسطين، التي

أصبحت همّاً مركزياً للعالم الإسلامي، وحضره علماء وشخصيات إسلامية كبرى مثل الشيخ محمد رشيد رضا، والمفكر الهندي الشاعر محمد إقبال، والزعيم الهندي شوكت علي، والزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي، ورئيس وزراء إيران السابق ضياء الدين الطبطبائي، والزعيم السوري شكري القوتلي، ... وغيرهم. وصدرت العديد من القرارات العملية كإنشاء جامعة إسلامية، وتأسيس شركة لإنقاذ الأراضي، وتشكيل لجان لفلسطين في مختلف البلدان...،[32] لكن وقوع معظم بلدان العالم الإسلامي تحت الاستعمار، وإصرار البريطانيين على إفشال أيّ من المشاريع العملية أدى إلى تعطيل العمل بمعظم هذه القرارات.

وتزايد دور علماء المسلمين الفلسطينيين بانعقاد مؤتمرهم الأول في 1935/1/25، وإصدارهم فتوى بتحريم بيع الأرض لليهود، وتكفير من يرتكب ذلك، ثم قيامهم بحملة توعية كبرى في فلسطين.[33]

الثورة الفلسطينية الكبرى:

اكتسبت الثورة الفلسطينية الكبرى (1936–1939) طبيعة إسلامية واضحة، فالشعب الفلسطيني الذي عرف بعمق ارتباطه بالإسلام عبّر عن ثورته ومشاعره من خلال الصياغات الإسلامية ومفهوم الجهاد.

وكان لجماعة القسام شرف تفجير الثورة في عملية عنبتا – نور الشمس في 1936/4/15، والتي قادها القائد الجديد للجماعة الشيخ فرحان السعدي.

وكان أبناء فلسطين قد أعلنوا الإضراب العام في 1936/4/20، وتمّ توحيد الأحزاب العربية، وتشكيل اللجنة العربية العليا برئاسة الحاج أمين الحسيني، حيث أعلنت عن الإصرار على الاستمرار في الإضراب حتى تحقيق المطالب الفلسطينية في إنشاء حكومة فلسطينية مسؤولة أمام برلمان منتخب، ووقف الهجرة اليهودية، ومنع بيع الأراضي لليهود.

واستمر الإضراب 178 يوماً، نحو ستة أشهر، ليكون أطول إضراب في التاريخ يقوم به شعب بأكمله. ورافق الإضراب ثورة عارمة عمّت كل فلسطين، ولم تتوقف المرحلة الأولى من الثورة إلا في 1936/10/12، بناء على نداء ملوك وأمراء العرب، وتهيئة لقدوم لجنة تحقيق ملكية بريطانية، لجنة بيل Peel Commission، لتدرس الوضع وتقدم توصياتها. وقد صدرت توصيات هذه اللجنة في مطلع تموز/ يوليو 1937، واقترحت

تقسيم فلسطين بين العرب واليهود. وقد أدى ذلك إلى تأجيج مشاعر الثورة من جديد، وكانت علامة بدئها الفاصلة اغتيال القساميين للحاكم البريطاني للواء الجليل لويس أندروز Louis Andrews في 1937/9/26. وقامت السلطات البريطانية بإجراءات قمعية هائلة، وحلَّت المجلس الإسلامي الأعلى واللجنة العربية العليا واللجان القومية، وحاولت اعتقال الحاج أمين الذي تمكن من الهرب إلى لبنان في منتصف تشرين الأول/ أكتوبر 1937، حيث تولى قيادة الثورة من هناك.

ومن البيانات التي تعبّر بعمق عن الروح الإسلامية للثورة، وعن الانسجام الطبيعي بين الشعب الفلسطيني ودينه وتاريخه وتراثه، باعتبار الإسلام التعبير الحقيقي عن هويته، ذلك البيان الذي أصدرته قيادة الثورة العامة في فلسطين سنة 1938، والذي جاء فيه:

> إن المجاهدين قد باعوا أنفسهم لله، وخرجوا في طاعته، لم يخرجوا إلا ابتغاء وجهه، والجهاد في سبيله والفوز بمثوبته، واكتساب مرضاته، لا يرضون بذلك بديلاً ولا يبغون عنها حولاً، صدَقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً، وهم يتسابقون إلى ميدان الجهاد والشهادة انتصاراً للحق وإقامة للعدل ودفاعاً عن أمتهم الكريمة وبلادهم المقدسة، فقد فارقوا في سبيل ذلك أهلهم، وتركوا أموالهم، وعطلوا مصالحهم.
>
> ومن كان هذا حالهم، وكان كل مبتغاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة من الله لا من سواه، حاشا لله أن يفسدوا في الأرض... .
>
> ... ونحن ماضون في هذا السبيل إن شاء الله إلى أن يكتب النصر لهذه الأمة، أو يأتي الله بأمر من عنده ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[34] ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[35]، والله وَليّنا وهو نِعم المولى ونِعم النصير.[36]

وأظهرت دراسة إحصائية قام بها الباحث[37] في بيانات وتقارير الثورة الكبرى (المرحلة الثانية 1937–1939، والموجودة في مجلد وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية: من أوراق أكرم زعيتر، الذي يعد أكبر مصدر في هذا المجال) شملت 154 وثيقة، حَوَت أخباراً وتقاريراً عن 698 عملية مقاومة، أنه كان للإسلام ورجاله ورموزه النصيب الأكبر من أسماء الفصائل (41 فصيلاً من أصل 86 فصيلاً)، مقارنة بـ 3 فصائل ارتبطت بمعاني قومية، بينما هناك 15 فصيلاً ارتبطت أسماؤها بمعانٍ عامة (الصواعق، الإقدام ...)، و10 فصائل سميت بأسماء أماكن أو قرى في فلسطين، و3 فصائل باسم

قادة قساميين، بالإضافة إلى أسماء 9 فصائل أخرى مرتبطة بأسماء أشخاص (سماحة المفتي، سعيد العاص،...)، وأخيراً هناك 5 فصائل ارتبطت بطبيعة عمل معينة (التأديب، القناصة...).

كما أن طريقة كتابة البيانات والتقارير العسكرية تميزت بطابعها الإسلامي العام، فهي عادة تبدأ بالبسملة، وتحتها أحياناً آية ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾،[38] وأحياناً ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾،[39] وإلى جانبها أحياناً "الله أكبر". وكان قادة الثورة يوقّعون بياناتهم بألفاظ "المتوكل على الله"، أو "خادم دينه ووطنه"، أو "المعتصم بالله"، أو "المعتز بالله"، أما الأختام فكان ختم ديوان الثورة يتضمن أعلاه لفظة "الله أكبر" وتحتها هلال بداخله آية ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾. أما مناطق العمليات فقد تركزت في شمال فلسطين ولواء نابلس حيث كان الوجود القسامي كثيفاً.

ومن جهة أخرى، فقد أسهم القساميون في تنظيم الثورة وقيادتها، فشارك ثلاثة منهم، من أصل ستة، في عضوية القيادة العسكرية، التي اختارت في 1936/9/2 فوزي القاوقجي قائداً عامّاً للثورة، والذي استمر في القيادة حتى نهاية المرحلة الأولى من الثورة في 1936/10/12.

أما في المرحلة الثانية من الثورة فقد اشتهر عبد الرحيم الحاج محمد، وكان معروفاً بتقواه وتدينه، كقائد عام للثورة حتى استشهد رحمه الله في 1939/3/26.

وقد تولى قيادة الثورة في شمال فلسطين القائد القسامي أبو إبراهيم الكبير، وكان معظم قادتها من الحركة القسامية؛ أبو محمود الصفوري، وسليمان عبد الجبار، وعبد الله الأصبح، وتوفيق الإبراهيم، وعبد الله الشاعر... وغيرهم. وفي منطقة لواء نابلس المقسّمة لأربعة أقسام كان هناك قائدان قسّاميان بارزان هما: الشيخ عطية أحمد عوض، والذي خلفه في منطقته الشيخ القسامي يوسف أبو درة، والشيخ محمد الصالح الحمد (أبو خالد)، والذي خلفه في منطقته الشيخ القسامي عبد الفتاح محمد الحاج مصطفى. هذا بالإضافة إلى منطقة يقودها عبد الرحيم الحاج محمد، وأخرى يقودها عارف عبد الرازق.

وتولى قيادة منطقة القدس المجاهد عبد القادر الحسيني، وقاد منطقة اللد الشيخ حسن سلامة، أما منطقة الخليل فقادها عيسى البطاط ثم عبد الحليم الجولاني.

وكان للحاج أمين الحسيني، من موقعه كرئيس للجنة العربية العليا، وكزعيم إسلامي معروف، دور رائد في تنظيم وتمويل وتوجيه الثورة بشكل غير معلن في مرحلتها الأولى، ثم مباشرة في مرحلتها الثانية.[40]

وقد هزت هذه الثورة الوجود البريطاني في فلسطين، واستطاعت أن تسيطر على الريف الفلسطيني وعدد من المدن، خصوصاً في صيف 1938، ونفذت آلاف العمليات العسكرية، وأقامت لنفسها مراكز قيادة ميدانية، ومحاكم تحكم بين الناس بكتاب الله وسنة رسوله... . ولم تستطع بريطانيا القضاء على الثورة إلا بعد أن استعانت بقوات كبيرة من جيشها الإمبراطوري الذي كان يُهيمن على عشرات من دول ومناطق العالم بما فيها القارة الهندية، وبعد أن استدعت أفضل قادتها العسكريين أمثال جون ديل John Dill، وآرتشيبالد ويفل Archibald Wavell، وروبرت هاينينج Robert Haining، وبرنارد لو مونتغمري Bernard Law Montgomery، وأفلين هيو باركر Evelyn Hugh Barker وغيرهم، وبعد أن أعادت احتلال أرض فلسطين جزءاً جزءاً في حرب شرسة استخدمت فيها كافة الوسائل والتقنيات العسكرية المتطورة والطيران والدبابات، بالإضافة إلى قمعها العنيف لكافة أنصار الثورة (كل الفلسطينيين) المدنيين.[41]

حرب 1948:

أعلن الصهاينة دولتهم "إسرائيل" مساء 1948/5/14، وتمكّنوا من هزيمة الجيوش العربية التي مَثّلت نموذجاً بائساً لسوء القيادة وضعف التنسيق وقلّة الخبرة، والتي كان عددٌ منها ما يزال واقعاً تحت النفوذ الاستعماري.

أما قوات الجهاد المقدس[42] التي تولى قيادتها عبد القادر الحسيني ورعاها الحاج أمين فقد جنّدت في صفوفها أعداداً كبيرة من أهل فلسطين، وخاضت معارك مهمة وعديدة في مناطق فلسطين، وخصوصاً في منطقة القدس مثل عمليات شارع بن يهودا، والبالستاين بوست، وهاسوليل، والمنتفيوري، والوكالة اليهودية.

ومن أشهر المعارك التي خاضتها قوات الجهاد المقدس معركة القسطل، وكان عبد القادر الحسيني قد طلب مساعدة اللجنة العسكرية للجامعة العربية بالسلاح لاسترداد القسطل دونما فائدة، فخرج من عند رئيسها وهو يقول بصوت مرتفع: "أنتم خائنون... أنتم مجرمون، سيسجل التاريخ أنكم أضعتم فلسطين، سأحتل القسطل وسأموت أنا وجميع إخواني المجاهدين"...، وغادر المكان وهو يقول لصديقه

قاسم الريماوي "هيا نرجع إلى فلسطين كي نموت فيها الميتة التي وضعناها نصب أعيننا، هيا نستشهد أو ننتصر على الأعداء، ولنذكر قوله تعالى ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾".[43] وفي 1948/4/8 انتصر عبد القادر ورفاقه في معركة القسطل وحرروها، واستشهد قائد قوات الجهاد المقدس عبد القادر الحسيني في هذه المعركة... .

من جهة أخرى، عندما أعلنت الحرب 1947–1948 عاد القساميون[44] للمشاركة في ميادين الجهاد من جديد، وقد عمل معظمهم تحت توجيه الحاج أمين الحسيني ضمن جيش الجهاد المقدس، أو مع جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي.

وقد ظلّ القساميون يعملون بالذات في مناطق الشمال كأبي إبراهيم الكبير (خليل العيسى)، وأبي إبراهيم الصغير (توفيق الإبراهيمي)، وأبي محمود الصفوري، وسرور برهم، ولكن هذه المرة لم يكونوا هم القيادات الموجهة المسيطرة المحركة للوضع، وإنما كانوا تابعين لقيادات أعلى، كثيراً ما وضعتهم في ظروف صعبة، بحيث لم يتمكنوا من أداء واجبهم كما يشاؤون.

شارك أبو إبراهيم الكبير ضمن قيادة فوج اليرموك الثاني التابع لجيش الإنقاذ، والذي كان يتولى قيادته أديب الشيشكلي. وقد قاد أبو إبراهيم ضمن أعمال هذا الفوج "معركة جدين" في الشمال، وبلغت خسائر اليهود 120 قتيلاً وجريحاً، واستشهد من العرب تسعة وجرح ستة.

وتولى أبو إبراهيم الصغير العمل في منطقة الناصرة، وكان تحت إمرته 200 مسلح، وكان يتبع في عمله جيش الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني وتوجيه ورعاية الحاج أمين الحسيني. كما أبلى أبو محمود الصفوري بلاءً حسناً في معارك الشمال، وتولى الدفاع عن بلدة شفا عمرو مع 50 جندياً من قوات الجهاد المقدس، واستشهد سرور برهم الذي تولى مسؤولية مساعد قائد حامية حيفا عندما حوصر وعدد من إخوانه المجاهدين فرفض التسليم وفجّر السيارة التي تحمل الذخيرة، مما أدى لمقتل أكثر من 50 يهودياً واستشهاد 14 مجاهداً منهم سرور برهم نفسه.

أما الإخوان المسلمون الفلسطينيون فقد شاركوا في الجهاد عندما اندلعت حرب 1948، إلا أن حداثة تنظيمهم وعدم نموه واستقراره بشكل مناسب وقوي، جعلت مشاركتهم محصورة ضمن قدراتهم المحدودة وإمكاناتهم المتواضعة.

ومع ذلك فقد شكّلت شُعب الإخوان في فلسطين قوات غير نظامية منذ بداية الحرب عملت في أماكن استقرارها في الشمال والوسط تحت القيادات العربية المحلية هناك، التي تتبع جيش الإنقاذ أو جيش الجهاد المقدس، وقد قامت بغارات ناجحة على مستعمرات اليهود وطرق مواصلاتهم على الرغم من الضعف الشديد الذي كانت تعانيه سواء في التسليح أو التدريب.[45]

ولذلك لا نجد ذكراً رسمياً لدور الإخوان في هذه المناطق بشكل عام، أما في المناطق الجنوبية وخصوصاً غزة وبئر السبع فقد انضم العديد من إخوان فلسطين إلى قوات الإخوان (المصرية) الحرة بقيادة كامل الشريف، وشاركوا بقوة وفاعلية في معارك فلسطين هناك، ويذكر كامل الشريف أن قوات الإخوان المصريين الحرة كان معدل عددها 200 مجاهد في مناطق جنوب فلسطين، وأنه كان يشاركها الجهاد نحو 800 مجاهد آخر من أبناء فلسطين تحت قيادتها، حيث إن كثيراً منهم تأثروا بفكر الإخوان المسلمين وأصبحوا منهم.[46]

وكانت أنشط شُعب الإخوان مشاركة في الجهاد شعبة الإخوان المسلمين في يافا، وقد كان هناك "تنظيم عسكري سري خاص" ضمن أعضاء الإخوان في يافا، شارك فيه عدد محدود من الإخوان ممن يصلحون لهذا العمل. وعندما جاء كامل الشريف إلى منطقة يافا مع سرية من شباب الجامعات، تولى هو قيادة مجاهدي الإخوان حيث تجمّع تحت قيادته نحو مئة مجاهد. وبحسب يوسف عميرة، فإن الإخوان تولوا في أثناء الحرب الدفاع عن مناطق البصة وتل الريش والعجمي والنزهة في يافا، بالإضافة إلى المحافظة على الأمن داخل البلد.[47]

وفي منطقة القدس شارك إخوان فلسطين في القتال مع إخوانهم القادمين من البلاد العربية، أو مع قوات الجهاد المقدس.

أما الإخوان المسلمون المصريون،[48] فبالإضافة إلى دورهم الكبير في التعبئة الإعلامية وجمع التبرعات والأسلحة، فقد أبدوا استعدادهم الجاد، قبل بدء المعارك، بإرسال دفعة أولى من عشرة آلاف مجاهد إلى فلسطين، وهي أكبر من بعض الجيوش العربية، حيث أبرق بذلك الشيخ البنا إلى جامعة الدول العربية في1947/10/9، وتقدم فوراً إلى الحكومة المصرية بطلب السماح لفوج من هؤلاء باجتياز الحدود، ولكنها رفضت. وأخذ الإخوان يجهزون المجموعات ويرسلونها، ولكن الحكومة كانت تضيِّق عليهم حتى إنهم اضطروا للتحايل (بعمل رحلة علمية إلى سيناء...) لينطلقوا بعد ذلك إلى فلسطين.

ولما اشتد الضغط على الحكومة المصرية سمحت للمتطوعين بالمشاركة في القتال تحت راية الجامعة العربية حيث تدربوا في معسكر "هاكستب"، وكان يشرف على حركة التطوع محمود لبيب وكيل الإخوان للشؤون العسكرية، وتألفت ثلاث كتائب من المتطوعين يقدر عددها بـ 600 مقاتل نصفهم تقريباً من الإخوان المسلمين، وقد طبعوا هذه الكتائب بطابعهم الخاص، وكان أبرز قادة هذه الكتائب أحمد عبد العزيز وعبد الجواد طبالة. ولم يكفِ معسكر هاكستب لاستيعاب المتطوعين، إذ إن المتطوعين كانوا عشرات الأضعاف بالنسبة للمشاركين، فأرسل الإخوان مئة من أفرادهم ليتدربوا في معسكر "قطنا" في سورية، وهم كل ما استطاع المركز العام للإخوان أن يقنع الحكومة المصرية بقبوله.

قام الإخوان المسلمون المصريون بدور مشرّف في حرب فلسطين اعترف لهم به كل من كتب عن هذه الحرب، وكان لهم دور مشهود في جنوب فلسطين في مناطق غزة ورفح وبئر السبع، حيث كانوا يهاجمون المستعمرات، ويقطعون مواصلات اليهود الصهاينة، ومن أبرز المعارك التي شاركوا فيها هناك معركة التبة 86 التي يذكر العسكريون أنها هي التي حفظت قطاع غزة عربياً، ومعركة كفار ديروم، واحتلال مستعمرة ياد مردخاي وغيرها، كما أسهموا بدور مهم في تخفيف الحصار عن القوات المصرية المحاصرة في الفالوجا.

كما كان للإخوان المصريين مشاركتهم الفعالة في معارك القدس وبيت لحم والخليل، وخصوصاً صور باهر، وكان من أبرز المعارك التي شاركوا فيها معركة رامات راحيل، واسترجاع مار الياس، وتدمير برج مستعمرة تل بيّوت قرب بيت لحم، والدفاع عن "تبة اليمن" التي سمّيت تبة الإخوان المسلمين، نظراً للبطولة التي أبدوها... وغيرها.

وقد استشهد من إخوان مصر في معارك فلسطين نحو مئة، وجرح نحو ذلك وأسر بعضهم، وكانت وطأة الإخوان شديدة على اليهود الصهاينة. غير أن الإخوان الذين قاموا بأدوار بطولية، كان مصيرهم الاعتقال والسجون قبل عودتهم إلى مصر، حيث تمّ حلُّ جماعة الإخوان المسلمين قبل أن تنتهي المعارك في 1948/12/8، وقامت المخابرات المصرية باغتيال الشيخ حسن البنا نفسه في 1949/2/11، قبيل توقيعها اتفاقية الهدنة مع الكيان الصهيوني. وكان ثمة علاقة ظاهرة بين حلّ جماعة الإخوان واغتيال البنا وبين جهاد الإخوان في فلسطين.

وقام الإخوان السوريون[49] بدور مشهود خصوصاً في معارك منطقة القدس، وقد تدربت كتيبة الإخوان السوريين في "قطنا" ثم سافرت إلى منطقة القدس، وقد شارك من الإخوان السوريين نحو مئة أخ، بقيادة المراقب العام للإخوان المسلمين في سورية الدكتور مصطفى السباعي، وقد اشتركوا ببسالة في معارك القدس، مثل معركة باب الخليل، ومعركة القسطل، ومعركة الحي القديم في القدس، ومعركة القطمون، ونسف الكنيس اليهودي الذي اتخذه اليهود مقراً حربياً وغيرها.

وقد تفاعل الإخوان الأردنيون،[50] مع حرب فلسطين، وتكوَّنت من إخوان منطقة عمّان وما حولها سرية متطوعين تضم نحو 120 مجاهداً من الإخوان المسلمين، وسميت باسم سرية أبي عبيدة، وقد تولى قيادتها التنظيمية الإخوانية الحاج عبد اللطيف أبو قورة المراقب العام للإخوان المسلمين في الأردن في تلك الفترة، أما قيادتها العسكرية فقد تولاها الملازم المتقاعد ممدوح الصرايرة، وقد دخلت فلسطين في 1948/4/14 وتمركزت في عين كارم وصور باهر. وقد خاضت هذه السرية عدة معارك، واستشهد عدد من أفرادها مثل سالم المسلم وبشير سلطان.

أما في العراق فبعد أسبوع واحد من قرار التقسيم أسهم الإخوان المسلمون في العراق[51] بقيادة الشيخ محمد محمود الصواف بشكل فعال في تأليف "جمعية إنقاذ فلسطين" في بغداد، ولقد لبى نداء التطوع 15 ألفاً معظمهم ممن تدرب في الجندية أو الشرطة، وكان للإخوان المسلمين في تلك الفترة دور أساسي في تعبئة الجماهير للجهاد.

وتألَّف من المتطوعين للجهاد فوجا الحسين والقادسية وسرية المغاوير وغيرها، وكلما تدرب فريق منهم كانت الجمعية ترسله إلى اللجنة العسكرية في دمشق. وفي 1948/1/7 وصلت أول سرية مغاوير إلى دمشق، وبعد أسبوع وصل فوجان آخران مع السلاح والعتاد، وبينما كانت الجمعية تستعد لإرسال فوج جديد تلقت إنذاراً من اللجنة العسكرية بأن تكفَّ عن إرسال المتطوعين حتى إشعار آخر!! وقد وصلت كتيبتا "الحسين" و"القادسية" من متطوعي العراق، كل واحدة تتكون من 360 مقاتلاً، إلى فلسطين في آذار/ مارس 1948.

كما شارك ضمن الأفواج التي ذهبت للجهاد الكثير من "إخوان" العراق الذين قاتلوا ضمن قوات جيش الإنقاذ، ورأوا الكثير من تخاذل وضعف وسوء إدارة قيادته، وعلى رأسه فوزي القاوقجي، إلا أنهم بذلوا ما استطاعوا في المعارك التي شاركوا فيها خصوصاً في شمال فلسطين.

رابعاً: أبرز الرموز والتيارات الإسلامية:

1. الحاج أمين الحسيني:[52]

يرجع نسب الحاج أمين الحسيني (1895–1974/7/4) إلى إحدى أكبر عائلات فلسطين وأكثرها نفوذاً، لانتسابها لآل البيت. التحق الحاج أمين في القاهرة بالأزهر، وتتلمذ على الفكر الإصلاحي النهضوي على يدي الشيخ محمد رشيد رضا في مدرسة "دار الدعوة والإرشاد". وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى سنة 1914، ذهب إلى إسطنبول ليلتحق بالكلية العسكرية، وليتخرج برتبة ضابط صف في الجيش العثماني. غير أنه انضم لاحقاً لقوات الثورة العربية بقيادة الشريف حسين. ثم ما لبث أن أخذ موقفاً عدائياً تجاه الاحتلال البريطاني، بعد انكشاف خداعه ودعمه للمشروع الصهيوني.

وقد اتسم الحاج أمين منذ صغره بالذكاء والبراعة في القيادة وسحر الشخصية وحسن التصرف.[53] وهو "شجاع صبور مخلص"،[54] وكان يتميز بأنه كتوم يخفي تصرفاته، ويمتاز بالغموض الذي يخفي خلفه فاعلية كبيرة، وقد وصفه المندوب السامي هارولد ماكمايكل Harold MacMichael بأنه سيدٌ من سادة المكر والخداع، وأنه المحرك لأكثر من ثورة واضطراب.[55]

ويصفه جون مارلو John Marlowe بأنه "كان واحداً من أقدر السياسيين الذين أنجبهم الشرق الأدنى في السنوات الماضية"؛[56] ويضيف بأنه كان يستطيع أن يثير التعصب الديني دون أن يكون هو متعصباً، وهو شخص "مقتدر جدّاً وخطير جدّاً"، حيث ارتكب البريطانيون خطأ في تقديره، لم ينتبهوا له إلّا بعد أن كان الوقت متأخراً جدّاً.[57] أما عارف العارف أحد أبرز مؤرخي فلسطين، والذي احتك به وبرجالات فلسطين خصوصاً في الفترة 1917–1948، فيقول بأنه "أخلص من أنجبته فلسطين للقضية العربية".[58]

وقد نمت شخصية الحاج أمين في فلسطين وازدادت شعبيتها خصوصاً بعد أن صار مفتي القدس (1921) ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى (1922).[59] وقام باستخدام منابر المساجد لخدمة القضية وتوعية الناس، ومواجهة اليهود الصهاينة والاستعمار البريطاني، وكانت المساجد في تلك الفترة منابر إشعاع وطنية، ومراكز تجميع وانطلاق شعبي للتظاهرات والثورات الفلسطينية.

ومع مرور الزمن صار الشخصية الأولى في فلسطين، حتى إن أحمد الشقيري، أحد البارزين في الحركة الوطنية في تلك الفترة، يصفه قائلاً "لقد كان الحاج أمين هو ذلك القائد معبود الشعب، فلا مكان للتغيير ولا إمكان"،[60] وكتبت جريدة فلسطين تقول عنه، عندما قررت الحكومة البريطانية حرمانه من مؤتمر المائدة المستديرة سنة 1939، "هو الفرد الذي تمثلت فيه أمة، والأمة التي تجمعت إرادتها في فرد".[61]

وقد ظلّ الحاج أمين الشخصية الأولى في نظر الشعب الفلسطيني ولنحو ثلاثين عاماً؛ وكان إلى حدٍّ كبير شخصية إجماع بين القوى الوطنية الفلسطينية. ولم تَحُلْ عمامته وعباءته ولا موقعه كمفتٍ، من قبول الاتجاهات الوطنية والقومية والإسلامية لقيادته.

ولم يشمل نفوذ الحاج أمين المسلمين فقط ولكنه شمل النصارى أيضاً، فلقد كان من الزعماء القلائل الذين استطاعوا أن يكسروا حاجز الطائفية، بحيث أصبحت شخصيته رصيداً للطرفَين فبقدر ما كان الحاج أمين "سيف الدين الحاج أمين" عند المسلمين فهو كذلك "حاج أمين يا مفتينا" التي ينشدها الشباب النصارى في كنيسة القيامة،[62] حتى إن جورج أنطونيوس، المؤرخ المعروف، كان يعتقد أن المفتي قديس!![63] وكان مسيحيو فلسطين يثقون بشكل عام بقيادته، حتى إن المسيحيين كانوا يتمتعون بتمثيل قوي داخل الحزب العربي (حزب المفتي)، يقترب من نحو ثلاثة أضعاف نسبتهم العددية في فلسطين.[64] مع ملاحظة ارتفاع نسبتهم في الطبقة المثقفة، ونشاطهم السياسي.

نجح الحاج أمين خصوصاً في الثلاثينيات والأربعينيات في الجمع بين الزعامة الوطنية للشعب الفلسطيني، وبين الزعامة العربية وكذلك الزعامة الإسلامية. وكان من أكثر الزعامات العربية والإسلامية شهرة واحتراماً. فقد تفاعل مع الأحداث، حتى ارتدَت شخصيته طابع البطل القومي للأمة العربية، وازداد نفوذه حتى أصبح في ثلاثينيات القرن العشرين الشخصية الإسلامية الأولى من الناحية الروحية والنفوذ الروحي.[65] وبالتالي، فقد أكسب البُعد الإسلامي الواضح في شخصيته قضية فلسطين بُعداً إسلامياً عالمياً، وأسهم إلى حدٍّ كبير في التعريف واستنهاض الدعم للقضية الفلسطينية في العالم الإسلامي.

وعلى سبيل المثال، ففي بغداد (عندما كان لاجئاً إليها) وقبل نهاية سنة 1940 أصبح المفتي الحاج أمين شخصية كبرى وعملاقة في السياسة العربية، وخصوصاً في العراق،

إلى درجة أنه كان وراء تعيين طه الهاشمي رئيساً للوزراء، وزاد نفوذه لدرجة أن الناس أصبحوا ينتظرون رؤيته للتبرك به، كما أن أركان الجيش كانوا يبدأونه بالزيارة قبل زيارتهم للوصي على العرش العراقي!![66]

كان هناك محاولات لتشويه صورة الحاج أمين بسبب علاقاته بهتلر وألمانيا النازية. والحقيقة أن ألمانيا كانت ممراً إجبارياً بالنسبة للحاج أمين؛ إذ اضطر بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية للهرب من لبنان إلى العراق لئلا يسلمه الفرنسيون للإنجليز. وبعد أن فشلت ثورة رشيد عالي الكيلاني، وسيطر البريطانيون على العراق، اضطر للهرب إلى إيران ثم إلى تركيا حتى استقر به المقام في ألمانيا. ومع ذلك فقد سعى للاستفادة من وجوده هناك لمحاولة إصدار تصريح بدعم استقلال الدول العربية تحت الاحتلال البريطاني، ومعارضة إقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين. وأشرف على تدريب الألمان لمئات العرب تدريباً عسكرياً، وتجهيز أبناء فلسطين للمعركة المقبلة، وأقيم في جزيرة رودس مخزن كبير للأسلحة، كما خُبّئ في ليبيا 30 ألف قطعة سلاح من أجل إرسالها لفلسطين في الوقت المناسب.[67]

وفي ذلك يقول الحاج أمين "أنا لم أذهب إلى المحور كي أضع نفسي تحت تصرفهم، لقد ذهبت في سبيل خدمة قضيتي التي هي قضية أمتي بكاملها... ذهبت مفاوضاً لا متعاوناً. كنت أتوق لأن تكون إقامتي ذات نفع لفلسطين خاصة ولوطني العربي الكبير عامة وللإسلام الذي أهمل أكبر مهمة من أجل إعلاء كلمته".[68]

قبضت فرنسا على الحاج أمين بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، لكنه تمكن من الهرب إلى مصر، فعمّت فلسطين الأفراح "فأقيمت الزينات في طول البلاد وعرضها وتألفت المواكب وشمل الناس سرور عظيم"، على حدِّ تعبير خليل السكاكيني.[69] وتابع الحاج أمين قيادته للشعب الفلسطيني من خلال رئاسته للهيئة العربية العليا التي تشكلت في حزيران/ يونيو 1946. غير أن جانباً كبيراً من البيئة الرسمية العربية التي كانت تحت النفوذ البريطاني والفرنسي صارت بيئات معادية أو مخاصمة للحاج أمين، وبالتالي عملت على تجاوزه وتجاهله وتهميشه، ومحاولة فرض أجندتها على الهيئة العربية العليا التي تمثل الشعب الفلسطيني.[70]

وفيما يلي بعض الوقفات والاستخلاصات المتعلقة بالحاج أمين:

- لم ينشئ الحاج أمين تنظيماً أو حركة إسلامية، كما لم يُقدّم رؤية إسلامية حركية مكتوبة، وهو ما جعل عديدين يتجاوزونه عند الكتابة عن التيارات والاتجاهات الإسلامية، ويحصرونه في دائرة الزعامة الوطنية. وربما يعود ذلك، لاستغراقه الكامل المبكر في قيادة العمل الوطني، ولطبيعته الدينامية العالية. ثم إن زعامته لجميع أهل فلسطين بمختلف اتجاهاتهم وطوائفهم جعلته يعطي مرونة أكبر في استيعابه لجميع الأطراف، مما أدى إلى عدم وجود منهجية إسلامية حركية جهادية تعتمد التربية والتركيز في أعماله. غير أن الاستقراء والتحليل الموضوعي لسلوك الحاج أمين وأدائه السياسي، يظهر أنه عبّر عن هوية إسلامية عميقة أنزلت رؤيتها على أدائها الوطني وعلى بيئتها العربية. فقد مثّل الحاج أمين نموذجاً استثنائياً خاصاً في التاريخ الحديث لفلسطين والعالم العربي. إذ نجح، كما لاحظنا، ولعشرات السنوات في الجمع بين الانتماء الإسلامي والزعامة الوطنية بشكل سلس.

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره، تظهر روحه الإسلامية في رعايته لجيش الجهاد المقدس مع وضوح الدلالة الإسلامية للجيش "الرسمي" للهيئة العربية العليا الممثلة لشعب فلسطين، وفي علاقاته القوية بالإخوان المسلمين. كما أنه دفع غالياً ثمن التزامه الإسلامي، حصاراً واستبعاداً وتهميشاً، من القوى السياسية العربية، وخصوصاً منذ أن تولى قيادة الهيئة العربية العليا سنة 1946، ثم من نظام عبد الناصر في خمسينيات القرن العشرين.

- انعكست البيئة المجتمعية والصراع والتنافس العائلي على قيادة العمل الفلسطيني في أثناء الاحتلال البريطاني وظهر التنافس بين الحسينية والنشاشيبية، وبين "المجلسيين" وخصومهم. وحاول البريطانيون والصهاينة وخصوم الحاج أمين اللعب على هذا الوتر باعتبار الحاج أمين زعيماً للحسينية ورئيساً للمجلس، وهو ما أضعف الحركة الوطنية، وانعكس سلباً على أداء الحاج أمين.
- حاول البريطانيون استيعاب الحاج أمين وتكبيله بقيود الوظيفة من خلال عمله مفتياً للقدس (منذ 1921) ورئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى (1921–1937). وبالتأكيد، فإن العمل الوظيفي الرسمي تحت أعين البريطانيين كان معوقاً لشخصية الحاج أمين التي اتسمت بالنزوع للعمل الثوري والمسلح قبل ذلك. كما وجه عديدون انتقادات للحاج أمين، لكونه حرص على وتيرة عمل وطني لا تصل إلى مستوى الثورة،

وأنه نأى بنفسه أن يتولى القيادة المباشرة للحركة الوطنية، غير أن الحاج أمين كان يرى أن البريطانيين كانوا قادرين بسهولة على قمع أي تحرك ثوري منظم، وأن الشعب الفلسطيني ليس جاهزاً تماماً للدخول في تجربة ثورية تملك عناصر الاستمرار والنجاح. ولذلك، يبدو أنه وفق ميزان السلبيات والإيجابيات رجحت لديه كفة الإعداد التدريجي، والعمل السياسي والتعبوي إلى أن تنضج الظروف المناسبة، بينما اتخذت رعايته للعمل العسكري المقاوم شكلاً سرياً محسوباً. وظلّ كذلك حتى نزل للميدان وتولى القيادة المباشرة سنة 1936.

- نجح الحاج أمين في استيعاب معظم العلماء الفاعلين في الشعب الفلسطيني، خصوصاً المعارضين بقوة للاحتلال البريطاني وللمشروع الصهيوني والداعمين لخط المقاومة. غير أن علاقته لم تكن واضحة تماماً بالشيخ عز الدين القسام قبل استشهاده، مع ملاحظة أن القسام كان أكثر استعجالاً في إعلان الثورة والمقاومة المسلحة؛ كما كان القسام يرى تركيز الإنفاق على المقاومة، وأن الإنفاق على صيانة المساجد يكون في الحدود الضرورية، وأن لا حاجة للإنفاق على تزيينها. غير أن القسام ظلّ إماماً ومأذوناً يتبع المجلس الإسلامي الأعلى الذي يرأسه المفتي، واستخدم ذلك غطاء لعمله دون أن يكون نشاطه محلّ اعتراض المفتي. ثم إن الحاج أمين عندما نزل للميدان سنة 1936 للقيادة المباشرة للعمل الفلسطيني، أعطى القادة القساميون ولاءهم له وعملوا تحت توجيهاته، مثل باقي القادة العسكريين الميدانيين. وكذلك حافظ الحاج أمين على علاقة قوية بالشيخ حسن البنا وبجماعة الإخوان المسلمين، وكانوا محل ترحيبه ودعمه في فلسطين، وانضم الكثير من أنصار المفتي إلى عضويتهم؛ وكان الحاج أمين أيضاً محط احترامهم وتقديرهم.
- مثَّل الحاج أمين نموذجاً لـ"الإسلامية الوطنية"، وظلّ طيلة حياته ملتزماً بخطه الإسلامي وبخط المقاومة المسلحة وعدم التنازل عن أي جزء من فلسطين. وقد حورب وحوصر بسبب ذلك. وجاءت نكبة فلسطين 1948، وسيطرت الأردن على الضفة الغربية ومصر على قطاع غزة، ومُنع من الإقامة والعمل هو وجهازه التنفيذي فيهما، لتضعف قدرته على العمل والتأثير. ومع صعود المدِّ القوي واليساري العربي ومحاصرة التيار الإسلامي، تعرَّض الحاج أمين للمزيد من التضييق والتهميش، انتهى بخروجه من مصر سنة 1958، وبلعبه دوراً ضئيلاً متراجعاً مع ظهور الفصائل الفدائية الفلسطينية وإقامة منظمة التحرير الفلسطينية.

2. جماعة القسام "الجهادية":

الشيخ عز الدين عبد القادر مصطفى القسام، من مواليد بلدة جبلة قضاء اللاذقية في سورية سنة 1882، درس في الأزهر، وعاد ليكون أحد دعاة الإسلام النشطين في بلدته في سورية، كان من قادة الثورة السورية ضدّ الفرنسيين خلال الفترة 1918–1920، وقد هرب إلى فلسطين بعد توقفها، واستقر في حيفا.

عرف الشيخ القسام بتقواه وورعه، وذكائه، وسعة علمه، وكان سلفيّ العقيدة، محارباً للانحرافات والبدع، قدوة في سلوكه وما يدعو إليه. وكان القسام شجاعاً جريئاً، ومن أكثر العلماء توقاً للجهاد، كما كان متفاعلاً مع الواقع، ذا شخصية اجتماعية منفتحة محببة، تحمل هموم الناس، وتشاركهم أفراحهم وأتراحهم. وكان حسن السيرة والعشرة، ومحدِّثاً لَبِقاً وخطيباً بارعاً، قوي الحجة، وحظي بشعبية كبيرة.[71]

تعود نشأة جماعة القسام إلى سنة 1925، عندما ابتدأ الشيخ عز الدين القسام في إنشاء تنظيم جهادي سري، يستمدُّ فهمه ومنهجه من الإسلام، ويَعدّ الجهاد طريقاً وحيداً لإنقاذ فلسطين.[72] وقد رأى إميل الغوري هذا التنظيم "أخطر منظمة سرية، وأعظم حركة فدائية عرفها تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية، بل تاريخ الجهاد العربي الحديث".[73] وقد أُطلق على هذا التنظيم اسم "المنظمة الجهادية"،[74] ولكن غلب عليه بعد استشهاد القسام اسم جماعة القسام أو القساميون،[75] وكان شعار التنظيم "هذا جهاد... نصر أو استشهاد".[76]

وكانت جماعة القسام لا تقبل أي عضو إلا بعد انتقاء وتمحيص، ولا يدخل في عضويتها إلا من كان "مؤمناً مستعداً أن يموت في سبيل بلاده"، ومن أهل الدِّين والعقيدة الصحيحة.[77] وتشكلت القيادة الأولى للتنظيم القسامي سنة 1928، وضمت بالإضافة إلى رئيسها القسام كلاً من العبد قاسم، ومحمود زعرورة، ومحمد الصالح الحمد، وخليل محمد العيسى. وكان مركزها حيفا،[78] وبلغ عدد أفراد الجماعة سنة 1935 نحو 200 منتظم أكثرهم يشرف على حلقات توجيهية من الأنصار، الذين يصل عددهم إلى 800.[79]

وقد أنشأ تنظيم القسام خمس وحدات متخصصة تضمنت وحدة لشراء السلاح، ووحدة للتدريب، ووحدة للتجسس على اليهود والإنجليز، ورابعة للدعاية للثورة، وخامسة للاتصالات السياسية.[80] أما ماليتها فقد اعتمدت على اشتراكات الأعضاء، وتبرعات الموثوقين،[81] وكان من منهج التنظيم أن يتدرب جميع أفراده على حمل السلاح

بحيث يكونون مستعدين لخوض معارك الجهاد عند إعلانها، وكان على كل عضو أن يدبر أمر تجهيز نفسه بالسلاح.[82] ولم يكن حال أغلب الأعضاء ميسورة، إذ كانوا يكدّون من أجل لقمة العيش، ومع ذلك "فقد منعوا أنفسهم الخبز من أجل ابتياع السلاح"، ومن أجل أن يعتمدوا على أنفسهم في العمل والإعداد.[83]

ويبدو أن انتقال جماعة القسام إلى مرحلة التسليح والتدريب كان في أواخر سنة 1928،[84] وجاءت ثورة البراق في آب/ أغسطس 1929 لتعزز الاتجاه العسكري لدى الجماعة، فأخذ القسام يسهم في عملية التدريب بنفسه، والتي شملت رحلات ليلية وحركات استطلاعية وتمارين على إصابة الهدف.[85] وعندما قرّرت الجماعة أن تعلن عن نفسها في تشرين الثاني/ نوفمبر 1935 كانت تملك حسبما ذكر صبحي ياسين، وهو أحد أعضائها، ألف قطعة سلاح وقاعدة تسليح في منطقة اللاذقية.[86]

وعلى الرغم من أن جماعة القسام لم تعلن عن نفسها إلا في وقت متأخر، إلا أنها قامت بعدد من العمليات العسكرية، خصوصاً في الفترة 1930–1932، وقد بدت وكأنها عمليات فردية. ويبدو أن هذه العمليات كانت من باب كسر حاجز الخوف لدى أفراد الجماعة، وجسّ النبض وردود الفعل لدى العرب والإنجليز واليهود، وربما كانت تعبيراً عن الحماس والتفاعل مع القضايا الوطنية، ومحاولة تصعيدها بما يتناسب وخطة الإعداد والتعبئة.

وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1935 أعلنت جماعة القسام "الجهادية" الجهاد، وقد توافق ذلك مع الازدياد الهائل في الهجرة والاستيطان، وتهريب السلاح لليهود، واشتداد المراقبة على القسام وإخوانه. وتلخصت خطة القسام في الخروج إلى القرى، وحضّ الناس على شراء السلاح، والاستعداد للثورة، وحشد العناصر المؤيدة للجماعة.[87] وقد اختفى القسام وعدد من إخوانه في أواخر تشرين الأول/ أكتوبر بعد أن باع بيته الوحيد في حيفا، وباع أصحابه حليّ زوجاتهم وبعض أثاث بيوتهم ليوفروا الرصاص والبنادق.[88]

وبعد فجر يوم 1935/11/20، طوَّقت قوات كبيرة من الشرطة تقدر بـ 400 رجل، معظمهم من الإنجليز، القسام وعشرة من إخوانه في أحراش يعبد عند قرية الشيخ زيد. وقد بدأت المعركة في الخامسة والنصف صباحاً، واستمرت أربع ساعات ونصف الساعة.[89] وحسب المصادر العربية فقد خسر الإنجليز 15 رجلاً،[90] لكن

التقارير البريطانية أشارت إلى مقتل شرطي واحد يدعى موت Mott وجرح العريف ريدر Reader في يده.[91] أما جماعة القسام فقد استشهد في هذه المعركة الشيخ عز الدين القسام ويوسف الزيباوي ومحمد حنفي المصري، وقبض على نمر السعدي وأسعد المفلح اللذَين أصيبا بجراح، كما قُبض على عربي بدوي ومحمد يوسف وأحمد جابر وحسن البابر.[92]

وقد أحدث استشهاد القسام ورفاقه هزة كبرى في فلسطين، وخرج في جنازتهم نحو 30 ألفاً جاؤوا إلى حيفا من مختلف أنحاء فلسطين،[93] وكانت أكبر جنازة في تاريخ فلسطين حتى ذلك الوقت. ولولا أن السلطة سحبت "عساكرها" من وجه الجنازة لوقعت الثورة الكبرى في فلسطين قبل موعدها بخمسة أشهر على حدٍّ تعبير صبحي ياسين.[94] كما أحدث استشهاد القسام تغييراً أساسياً في مسار الحركة الوطنية الفلسطينية، فقد كرّس بديل الجهاد بعد سنوات طويلة من الحركة السياسية غير المجدية، وألهبت حركته، و"تضحيته" الحماس، و"صارت مثلاً رائعاً للجرأة والجهاد العلني ضدّ الإنجليز"،[95] "وقامت البلاد وقعدت واهتزت أيما اهتزاز، وزلزلت أيما زلزال، ومن ذلك الحين اشتدت كراهية العرب لحكومة الانتداب، وأخذت تظهر هذه الكراهية بأشكال عنيفة".[96] وأطلق شعب فلسطين على القسام اسم "أبو الوطنية"،[97] وقد شعر الزعماء السياسيون العرب في فلسطين بحدّة المأزق الذي وضعوا فيه، فقد أوضح المندوب السامي في رسالة له إلى وزير المستعمرات في 1935/12/7 ما أحدثه مقتل القسام ورفاقه من أثر كبير. وقال المندوب: إن زعماء الأحزاب العربية الخمسة قد اجتمعوا به يوم 25 تشرين الثاني/ نوفمبر وأخبروه أنهم ما لم يتلقوا على مذكرتهم رداً يمكن اعتباره بشكل عام مرضياً لمطالبهم فإنهم "سيفقدون كل تأثير على أتباعهم، وستسود الآراء المتطرفة واللا مسؤولة، وسيتدهور الوضع السياسي بسرعة".[98]

وهكذا فإن القسام كان محقاً عندما قال قبل ابتداء المعركة: إنه وإخوانه عبارة عن عود ثقاب سيشعل الثورة في البلاد.[99]

من خلال الدراسة التي قام بها كاتب هذه السطور للتجربة القسامية، **يمكن استخلاص النقاط التالية:**

- قدم القسام من خلال حركة "الجهادية" رؤية إسلامية جهادية خالصة، قائمة على تحرير الأرض المباركة من الاحتلال البريطاني وإفشال المشروع الصهيوني.

- جمعت حركة "الجهادية" بين العمل الدعوي، والتربوي، والعسكري، والأمني، والتوعية السياسية ضمن بنية حركية سرية منضبطة.
- تميز أعضاء الجهادية أو القساميون بمستوى عالٍ من السرية، ومن الحرص على الإخلاص واحتساب العمل لله. وهو ما حمى البنية التنظيمية للحركة على مدى عشر سنوات (إلى حين الإعلان عن نفسها)، مع تنفيذ عمليات لم ينكشف كثير منها إلا بعد أعوام عديدة. ولعل حرص من تبقى من القساميين على السرية والاحتساب جعلهم لا يتحدثون عن حركتهم وجهادهم إلا بعد عشرات الأعوام قبيل وفاتهم، ولعل عديدين لقوا ربهم وأسرارهم في صدورهم.
- نجحت حركة الجهادية في تكوين تنظيم حركي مجاهد، جُلُّهم من طبقات الشعب من الفلاحين والعمال، وكانت قيادة الحركة إلى جانب القسام من الفلاحين ذوي التعليم البسيط، وهو إنجاز كبير في بيئات اعتادت على هيمنة وريادة الطبقات المثقفة على العمل السياسي والحركي والأيديولوجي.
- اتسمت الحركة بالجدية والدينامية العالية، وقرنت بين الإيمان العقائدي والانتماء التنظيمي وبين الجانب العملي والاستعداد منذ البداية للتضحية؛ فألزمت أعضاءها باقتناء السلاح وبالتدريب العسكري، وجعلت رسوم الاشتراك تزداد مع ارتفاع الموقع القيادي.
- تميزت الحركة بالاعتماد على الذات، وتبرعات الموثوقين غير المشروطة، وبالتالي امتلكت حرية قرارها، ولم تكن مرهونة لأحد.

من جهة أخرى، عانت حركة الجهادية مما يلي:

- كان القسام نفسه عالماً وفقيهاً وقائداً ومُنظِّراً حركياً، لكن حركته لم تتحول بعد استشهاده إلى مدرسة فكرية، ولم تحافظ على نفسها كتنظيم حركي إسلامي في السنوات التالية. ذلك أن استشهاد القسام، أحدث فراغاً كبيراً، لافتقار الحركة لأمثاله في الإطار الفكري، بالرغم من كثرة القادة الميدانيين المتميزين جهادياً وعسكرياً.
- قدمت الحركة معظم قادتها شهداء، سواء باستشهاد القسام عند إعلان انطلاقتها، أم في الثورة الكبرى 1936–1939. وهو ما أضعف قدرتها على النمو وعلى إعادة تنظيم نفسها بشكل فعال، ولذلك كان أثرها محدوداً في حرب 1948، ثم تلاشى بعد ذلك.

• اقتصرت حركة القسام بعد استشهاده على العمل العسكري الجهادي، فلم تُطور لنفسها تشكيلاً أو حزباً سياسياً، كما لم تطور أطراً تنظيمية تربوية ودعوية كجماعة أو حركة إسلامية.

3. الإخوان المسلمون:

إن الحديث عن جماعة الإخوان المسلمين لا يكتسب أهميته فقط من دورها الذي أدَّته في فترة الأربعينيات في فلسطين، وإنما لأن تيار الإخوان المسلمين أصبح هو التيار الإسلامي الرئيسي في أوساط الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة وخارجها وإلى وقتنا الحاضر.

أسّس الشيخ حسن البنا جماعة "الإخوان المسلمين" في آذار/ مارس 1928 في مدينة الإسماعيلية بمصر.[100] وقد هدفت هذه الجماعة إلى إحياء معاني الإسلام الصحيحة في النفوس، والالتزام بتعاليمه عقيدة وسلوكاً ومنهج حياة، وبناء الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم والدولة المسلمة، وتخليص البلاد الإسلامية من الاستعمار بكافة أشكاله، وإقامة الخلافة الإسلامية الواحدة على بلاد المسلمين، والتقدم لسيادة وأستاذية العالم.[101] وعدَّت الجماعة نفسها، وفق المفهوم الشامل للإسلام، "دعوة سلفية... وطريقة سنية... وحقيقة صوفية... وهيئة سياسية... وجماعة رياضية... ورابطة علمية ثقافية... وشركة اقتصادية... وفكرة اجتماعية".[102]

بدأ اهتمام جماعة الإخوان المسلمين في مصر بفلسطين مبكراً، غير أنه برز في أثناء الثورة الكبرى 1936–1939 عبر الدعاية والإعلام والمظاهرات وجمع التبرعات. وكانت أولى الإشارات لما بدأ الإخوان نشر دعوتهم في فلسطين في آب/ أغسطس 1935، عندما زارها عبد الرحمن الساعاتي ومحمد أسعد الحكيم، وهناك لقيا ترحيباً من الحاج أمين، حيث قاما بنشر دعوتهم.[103] وخلال الحرب العالمية الثانية (1939–1945) زادت زيارات الإخوان لفلسطين، وأخذ عدد من أبناء فلسطين ينضمون للإخوان، غير أن تشكيل فروع للإخوان لم يتم، على ما يظهر، إلا بعد انتهاء الحرب، حيث خفَت ظروف القهر والتشديد البريطاني، ونشطت الحركة السياسية الفلسطينية. ويبدو أن أول فروع الإخوان إنشاءً كان فرع غزة برئاسة الشيخ عمر صوان، بينما تولى ظافر الشوا أمانة السر. ثم تمّ إنشاء فروع للإخوان في شهرَي تشرين الأول/ أكتوبر وتشرين الثاني/ نوفمبر 1945 في القدس والخليل وغزة وحيفا ويافا؛ كما نشأت في الفترة نفسها مجموعات شكّلت أنوية

لفروع الإخوان في نابلس وبئر السبع ورام الله واللد وأريحا.[104] وتتابع إنشاء الفروع في قلقيلية، وطولكرم، والمجدل، وسلواد، حتى زادت الفروع عن عشرين فرعاً.[105]

أما فرع القدس، فتولى أمانة سره وإدارة مكتبه محمد أسعد الإمام الحسيني، شهد الفرع حفل افتتاح مميز في 1946/5/5 حضره الزعيم الفلسطيني جمال الحسيني. وكان فرع يافا برئاسة ظافر الدجاني، وفرع حيفا برئاسة الشيخ عبد الرحمن مراد.

وقد نشط الإخوان المسلمون في فلسطين بين فترة الإنشاء (أواخر 1945) وبين قرار التقسيم (1947/11/29) في نشر دعوتهم وتأسيس شُعَبهم وفروعهم، وافتتاح المكتبات والأندية وإلقاء المحاضرات؛[106] وفي مجالات الدعوة والتربية والتوعية الإسلامية، والتعريف بالخطر الصهيوني على فلسطين، والتعبئة للجهاد. وأشارت التقديرات إلى أن إجمالي عدد الإخوان في فلسطين قد بلغ في سنة 1947 نحو 20 ألفاً.[107]

وقد دلّت القرارات الصادرة عن مؤتمراتهم العامة في سنتَي 1946 و1947 على قوّتها ومتابعتها للأحداث السياسية، وعلى مضمونها الجهادي المتقدم.[108] ففي المؤتمر الكبير الذي عقده الإخوان المسلمون قبيل قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، في حيفا في 1947/10/27، اتخذت عدة قرارات، كان من أبرزها:

- يعلن الإخوان المسلمون تصميمهم على الدفاع عن بلادهم بجميع الوسائل، واستعدادهم للتعاون مع جميع الهيئات الوطنية في هذا السبيل.
- يعلن المؤتمرون أن هيئة الإخوان المسلمين ستحمل نصيبها كاملاً من تكاليف النضال.[109]

ومما يلفت النظر، أنه عندما تشكلت اللجنة القومية في القدس في 1948/1/26 لتتولّى أمور رعاية المدينة وحمايتها في أثناء حرب 1948، فإنها كانت تتكون من 14 عضواً. وقد كان من بين هؤلاء خمسة أعضاء في جماعة الإخوان المسلمين في القدس، وهم: شريف صبوح، وأسعد الإمام، وطاهر بركات، وجميل وهبة، وعيد عابدين.[110] وهذا مؤشّر قوي على ما تمتّعت به جماعة الإخوان أو الشخصيات المنتمية لها من احترام ونفوذ وتأثير في القدس، خصوصاً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار كثرة الاتجاهات، والأحزاب، والجمعيات، والتنوع الطائفي الديني في القدس.

وبالفعل، وكما لاحظنا سابقاً، فقد أثبت الإخوان مصداقيتهم من خلال المشاركة الفاعلة والتضحيات التي قدموها في حرب 1948.

وإذا ما أردنا تقييم أداء الإخوان عن الفترة التي درسناها، **فلعلنا نستخلص ما يلي**:

- تمكَّن الإخوان المسلمون الفلسطينيون من تحقيق انتشار واسع، قياساً بالفترة الزمنية بين انتهاء الحرب العالمية الثانية وبين حرب 1948؛ ويعود ذلك إلى الطبيعة الإسلامية المنفتحة المعتدلة للشعب الفلسطيني، وتطلعهم للنموذج الإسلامي في مواجهة المشروع الصهيوني؛ وإلى الطبيعة الشاملة والمعتدلة لجماعة الإخوان، وطرحها السياسي والجهادي المتقدم، وديناميتها العالية، وإلى قدرة الإخوان المسلمين المصريين ودعاتهم على نشر دعوة الإخوان ونسج علاقات إيجابية مع الكثير من الرموز الاجتماعية والدينية في المجتمع الفلسطيني، وإلى ترحيب الحاج أمين الحسيني والقيادة الفلسطينية بالإخوان وتسهيل انتشارهم في البيئة الفلسطينية.

- نجح الإخوان الفلسطينيون في تجاوز العقبات والإشكالات والصراعات العائلية والحزبية الفلسطينية، وتمكنوا من تحشيد مؤيدين وكسب عضوية أفراد من مختلف طبقات المجتمع؛ مثقفين وفلاحين وعمال وغيرهم. كما نجحوا في عمل علاقات إيجابية مع مسيحيي فلسطين.

- دلّ أداء الإخوان على رؤى سياسية ناضجة، وعلى تفاعل متقدم مع الجوانب الاجتماعية والحياتية الفلسطينية.

- قام الإخوان بدور مُشرِّف في حرب 1948، قياساً بإمكاناتهم المتاحة، وقدموا نموذجاً متقدماً عكس روح الأمة الواحدة بشكل صادق وفعّال مع قضية فلسطين، من خلال قدوم أعداد كبيرة المتطوعين من الإخوان من مصر وسورية والأردن والعراق، ومشاركتهم الفعالة في القتال، واستشهاد الكثيرين على ثرى فلسطين.
ودفع الإخوان المصريون ثمناً غالياً بسبب مشاركتهم الفعالة في الحرب، فحُظرت جماعتهم في مصر، واعتقلت كوادرهم وقياداتهم، وصودرت ممتلكاتهم، وتمّ اغتيال مرشدهم حسن البنا رحمه الله، وهو ما عدَّه الإخوان وسام شرف لهم، واستحقاقاً يؤدونه عن طيب نفس دفاعاً عن فلسطين.

- نجح الإخوان في ترسيخ وجودهم في فلسطين المحتلة، ووسط فلسطينيي الشتات، بعد نكبة 1948، فلم يكن تأسيسهم عابراً، وإنما أصبحوا أقوى التيارات الإسلامية في فلسطين وحتى وقتنا هذا.

من جهة أخرى:

- فإنَّ قِصر المدة بين نشأة الإخوان في فلسطين وحرب 1948 لم تعطهم وقتاً كافياً لبناء هياكلهم التنظيمية، ومؤسساتهم الدعوية والاجتماعية.
- ولم يتمكنوا خلال هذه الفترة من إبراز رموزهم وقياداتهم على المستوى الفلسطيني، وإن كان كثير منهم يحظى بالمكانة والاحترام على المستوى المحلي قبل انتمائه للإخوان.
- ظلّت إمكانات الإخوان وقدراتهم التعبوية الجهادية محدودة قياساً بحرب 1948 التي أخذت أبعاداً هائلة عربية ودولية، لكنهم قدّموا ما يستطيعون في تلك الظروف.

خلاصة:

- حافظت الدولة العثمانية على هوية فلسطين الإسلامية وحَمَتها على مدى أربعة قرون، غير أن أمتنا الإسلامية ونظمها السياسية عانت من عوامل الجهل والتخلف والتراجع الحضاري، والجمود الفقهي والفكري ومن غياب روح التجديد والإبداع، ومن التنازع الداخلي، ومن الركون إلى الدنيا. وقد أدّى ذلك إلى بروز عناصر الضعف السياسي والعسكري والاقتصادي والثقافي والتعليمي والاجتماعي، وضعف نظم الدولة القادرة على مواكبة التطور، والعجز عن بناء منظومات فعالة (نابعة من ديننا وتراثنا) قادرة على مواجهة التحديات المعاصرة، ومنافسة القوى العالمية الصاعدة؛ مما جعل عالمنا الإسلامي بما فيه فلسطين منطقة مكشوفة، يسهل على القوى الاستعمارية وأعداء الأمة استباحتها واحتلالها وتمزيقها، ونشر الأيديولوجيات الغربية في أوساطها.
- بانهيار الدولة العثمانية، تراجعت فكرة الخلافة الإسلامية، وأنشأت الدول الاستعمارية في معظم أنحاء العالم العربي والإسلامي نظماً سياسية خاضعة لنفوذها، وسمحت للتيارات العلمانية التي نشأت في جامعاتها ومؤسساتها بتصدّر مراكز القيادة والقرار، في الوقت الذي حاربت فيها التيارات الإسلامية النهضوية؛ وهيأت المجال لنشوء دول قطرية، لا تضع قياداتها أولوية كبرى لقضايا الأمة المركزية. وبالتالي، وجدت الشعوب نفسها غير قادرة على التعبير عن إرادتها، والقيام بدورها النهضوي والحضاري والوحدوي، وعاجزة عن مواجهة أعداء الأمة وخصوصاً

العدو الصهيوني. لقد أضعف عزل التيار الإسلامي عن مراكز القيادة وصنع القرار من قدرة هذا التيار على القيام بالدور الفعال المنشود، وحصر أدواره بأسقف منخفضة لا تتناسب مع إمكاناته المذخورة.

- أدّى وقوع المنطقة تحت السيطرة الاستعمارية، وخصوصاً الاستعمارَيْن البريطاني والفرنسي، وما أقامه من تقسيمات وحدود مصطنعة وفق اتفاقيات سايكس – بيكو وغيرها، وما التزم به تجاه المشروع الصهيوني من خلال وعد بلفور، إلى فرض برنامج قسري ممنهج تواطأت عليه القوى الكبرى ضدّ إرادة الشعب الفلسطيني وضدّ إرادة الأمة، وعُزلت فلسطين عن محيطها العربي والإسلامي، ليتم الاستفراد بها، وتمَّ توظيف التفاوت الهائل في الإمكانات لتوفير الغطاء للمشروع الصهيوني وحمايته ورعايته لإنشاء كيانه الغاصب، بالتزامن مع قمع وسحق إرادة الشعب والأمة.
- اتَّسم المشروع الصهيوني بقدرات تنظيمية وقيادية عالية، وبتوفر أدوات نفوذ عالمية تحت تَصرّفه، وبإمكانات سياسية وإعلامية ومالية وعسكرية متقدمة. في المقابل عانت الحركة الوطنية الفلسطينية من انعكاس حالة التخلف التي تشهدها الأمة على مجمل أدائها وتكوينها، فعانت من ضعف إمكاناتها، ومن ضعف خبراتها القيادية والتنظيمية، ومن انعكاس مظاهر التنازع والتنافس الداخلي سلباً على مجمل الأداء الجهادي والوطني.
- قاوم الشعب الفلسطيني بكل ما لديه من إمكانات متاحة الاحتلالَ البريطاني والمشروعَ الصهيوني، وتتابعت ثوراته وانتفاضاته وتضحياته التي وصلت ذروتها في الثورة الكبرى 1936–1939؛ والتي أجبرت بريطانيا في أيار/ مايو 1939 على إلغاء وعد بلفور والالتزام بإنشاء دولة فلسطينية خلال عشر سنوات؛ غير أنها نكثت لاحقاً بذلك بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. وكان من الواضح أن المؤامرة أكبر من الشعب الفلسطيني وأكبر من إمكاناته.
- في الفترة 1918–1948 لم تكن الأفكار والأيديولوجيات الغربية اليسارية والعلمانية والقومية والقُطرية (الوطنية) قد ترسَّخت في البيئة العربية والإسلامية، كما أن الدولة القُطرية لم تكن قد نضجت وترسخت؛ ولذلك كان المضمون العام لحركة الناس وعملهم التعبوي وطروحاتهم وشعاراتهم ومقاومة العدو الصهيوني يستند إلى الإسلام بفهمه

البسيط المتسامح المعتدل. كما أن تفاعل جماهير الأمة مع قضية فلسطين كان كبيراً، وأخذ مظهراً عملياً في المشاركة المباشرة في الجهاد على أرض فلسطين، وحتى بالقيام بأدوار قيادية في إطار العمل المقاوم؛ كما في الأدوار التي قام بها على سبيل المثال عز الدين القسام (سورية)، وفوزي القاوقجي (لبنان)، ومتطوعو الإخوان المسلمين (مصر، وسورية، والأردن، والعراق...)، وجيش الإنقاذ (عدة بلدان)، وغيرهم.

- كان للتيار الإسلامي دور ريادي كبير في مقاومة المشروع الصهيوني والاحتلال البريطاني، سواء من خلال القيادة السياسية والدينية للحاج أمين الحسيني ورفاقه العلماء، أم من خلال حركة الجهادية بقيادة الشيخ الشهيد عز الدين القسام، أم من خلال جماعة الإخوان المسلمين في فلسطين والبلاد العربية، وغيرهم من القوى.

هوامش الفصل الرابع

[1] انظر: عارف العارف، **المفصل في تاريخ فكرة القدس** (القدس: فوزي يوسف، 1961)، ج 1، ص 365–366؛ وأحمد الشقيري، **أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية** (بيروت: دار النهار، 1969)، ص 42.

[2] انظر: عجاج نويهض، **رجال من فلسطين** (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، 1981)، ص 98–99.

[3] المرجع نفسه، ص 134–135؛ وانظر أيضاً: خليل السكاكيني، **كذا أنا يا دنيا** (د.م: الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، 1982)، ص 134–135.

[4] بيان نويهض الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917–1948**، سلسلة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، رقم 57 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1981)، ص 11.

[5] محمد عزة دروزة، **نشأة الحركة العربية الحديثة: انبعاثها ومظاهرها في زمن الدولة العثمانية إلى أوائل الحرب العالمية الأولى** (صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، د.ت)، ص 187.

[6] **مذكرات السلطان عبد الحميد**، ترجمة وتقديم وتحقيق وتعليق محمد حرب عبد الحميد (القاهرة: دار الأنصار، 1978)، ص 13.

[7] انظر: فيليب حتّي، **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**، ترجمة كمال اليازجي (بيروت: دار الثقافة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر، 1959)، ج 2، ص 349؛ وفلاديمير لوتسكي، **تاريخ الأقطار العربية الحديثة**، ترجمة عفيفة البستاني (موسكو: دار التقدم، 1971)، ص 382.

[8] بيان الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين**، ص 11.

[9] انظر: حسان علي حلاق، **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897–1909**، ط 2 (بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، 1980)، ص 86–90، و101–105.

[10] سمير أيوب، **وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني**، ج 1، ص 128؛ وصالح مسعود أبو يصير، **جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن** (بيروت: دار الفتح، 1970)، ص 31.

[11] **مذكرات السلطان عبد الحميد**، ص 65.

[12] سمير أيوب، **وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني**، ج 1، ص 269–270.

[13] مقدمة **مذكرات السلطان عبد الحميد**، ص 11.

[14] المرجع نفسه، ص 11–12.

[15] عبد العزيز محمد عوض، **مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث 1831–1914** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر – مكتبة المحتسب، 1983)، ص 62؛ وحسان حلاق، **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية**، ص 96–98.

[16] وليم فهمي، **الهجرة اليهودية إلى فلسطين** (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974)، ص 36.

[17] انظر: خيرية قاسمية، **النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908–1918**، سلسلة كتب فلسطينية، رقم 41 (بيروت: مركز الأبحاث (م.ت.ف)، 1973)، ص 41–49.

[18] صالح أبو يصير، **جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن**، ص 33.

[19] وزارة الإرشاد القومي، الهيئة العامة للاستعلامات، **ملف وثائق فلسطين**، الجزء الأول: 1937–1949 (القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، 1969)، ج 1، ص 155.

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

[20] خيرية قاسمية، **النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه**، ص 403.

[21] انظر: محسن محمد صالح، **التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد 1917–1948**، ط 2 (الكويت: مكتبة الفلاح، 1989)، ص 59–61.

[22] انظر: المرجع نفسه، ص 62–78.

[23] إميل الغوري، **فلسطين عبر ستين عاماً** (بيروت: دار النهار للنشر، 1972)، ص 28–30.

[24] انظر مثلاً لمزيد من التفصيل حول تطور المشروع الصهيوني في: محمد سلامة النحال، **سياسة الانتداب البريطاني حول أراضي فلسطين العربية**، ط 2 (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، 1981)؛ و**حرب فلسطين 1947–1948** (الرواية الإسرائيلية الرسمية) ترجمة أحمد خليفة (قبرص: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984)، ص 18، و26؛ وصالح أبو يصير، **جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن**، ص 465–485؛ ومحمد عبد الرؤوف سليم، **نشاط الوكالة اليهودية لفلسطين: منذ إنشائها وحتى قيام دولة إسرائيل 1922–1948** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982).

[25] انظر: محمد عزة دروزة، **فلسطين وجهاد الفلسطينيين: في معركة الحياة والموت ضد بريطانيا والصهيونية العالمية 1917–1948** (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1959)، ص 98؛ ومحمد أمين الحسيني، **حقائق عن قضية فلسطين**، ط 2 (القاهرة: مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين، 1957)، ص 50.

[26] حول الهيئة العربية العليا، انظر: **الموسوعة الفلسطينية**، ج 4، ص 556–561.

[27] Yehoshua Porath, *The Emergence of Palestine of National Movement: 1918–1929* (London: Frank Cass Company Ltd., 1974), p. 129.

[28] See Report on the Arab Movement & Zionism, by J. Camp, 12/8/1919, The National Archives (Public Record Office), London, Foreign Office, F.O. 371/4182; and Yeshoa Porath, *The Emergence of the Palestine National Movement*, p. 129.

[29] انظر مثلاً: **وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1918–1939: من أوراق أكرم زعيتر**، أعدتها للنشر بيان الحوت، ط 2 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984)، ص 58–61.

[30] حول هذه الثورات الثلاث انظر: محسن محمد صالح، **التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد**، ص 165–191.

[31] عبد الوهاب الكيالي، **تاريخ فلسطين الحديث** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985)، ص 229.

[32] انظر: بيان الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين**، ص 216، و246–247، و872–873.

[33] المرجع نفسه، ص 294–295؛ و**وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1918–1939: من أوراق أكرم زعيتر**، ص 381–391.

[34] **القرآن الكريم**، سورة الحج: 40.

[35] **القرآن الكريم**، سورة محمد: 7.

[36] **وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية 1918–1939**، جمع وتصنيف عبد الوهاب الكيالي (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1968)، ص 614–616.

[37] انظر خلاصة هذه الدراسة في: محسن محمد صالح، **التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد**، ص 358–360.

[38] **القرآن الكريم**، سورة الأنفال: 60.

[39] **القرآن الكريم**، سورة الصف: 13.

[40] حول دور جماعة القسام والإسلاميين بشكل عام في الثورة الكبرى، انظر: المرجع نفسه، ص 361–412.

[41] حول الثورة الكبرى، انظر: المرجع نفسه، ص 331–351.

[42] حول دور الجهاد المقدس، انظر: صالح أبو يصير، **جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن**، ص 340–356.

[43] **القرآن الكريم**، سورة النساء: 74.

[44] حول دور القساميين، انظر: محسن محمد صالح، **التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد**، ص 479–480.

[45] كامل الشريف، **الإخوان المسلمون في حرب فلسطين** (الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار، 1984)، ص 464.

[46] كامل الشريف، مقابلة مع المؤلف، عمّان، الأردن، 1985/10/28. كامل الشريف أحد قادة الإخوان المسلمين المصريين في حرب فلسطين 1947–1948، وزير الأوقاف الأردنية السابق.

[47] يوسف عميرة، مقابلة مع المؤلف، الكويت، 1985/11/6. يوسف عميرة أحد قدماء الإخوان المسلمين الفلسطينيين، وأحد مجاهدي حرب 1947–1948.

[48] حول دور الأخوان المسلمين المصريين، انظر: كامل الشريف، **الإخوان المسلمون في حرب فلسطين**؛ ومحسن محمد صالح، **التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد**، ص 468–475.

حول دور الإخوان المسلمين السوريين، انظر: مصطفى السباعي، **الإخوان المسلمون في حرب فلسطين** (د.م: دار النذير، 1985)؛ وعارف العارف، **النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود 1947–1951** (صيدا–بيروت: المكتبة العصرية، 1954)، ج 1، ص 326، و329، و435–437.

[49] حول دور الإخوان المسلمين السوريين، انظر: مصطفى السباعي، **الإخوان المسلمون في حرب فلسطين**؛ وعارف العارف، **النكبة**، ج 1، ص 326، و329، و435–437.

[50] حول دور الإخوان المسلمين الأردنيين، انظر: محسن محمد صالح، **التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد**، ص 476–477؛ وسليمان موسى، **أيام لا تنسى: الأردن في حرب 1948** (الأردن: مطبعة المسلحة الأردنية، 1982)، ص 44–45.

[51] حول دور الإخوان المسلمين العراقيين، انظر: محسن محمد صالح، **التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد**، ص 477–478؛ وبيان الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين**، ص 612–613.

[52] كتب الكثير عن الحاج أمين ودوره، انظر مثلاً: بيان الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين**، ص 201–249، و585–594؛ وزهير الماردينى، **ألف يوم مع الحاج أمين الحسيني** (د.م: د.ن، 1980)؛ وغيرها.

[53] علي سعود عطية، "الزعامة السياسية للمفتي الحاج أمين الحسيني بين عهدين: ثورة 1936 وما قبلها،" في **المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام "فلسطين"، المجلد الثالث: تاريخ فلسطين** (عمّان: الجمعية العلمية الملكية، 1983)، ص 428.

[54] أحمد الشقيري، **أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية**، ص 184.

[55] علي عطية، "الزعامة السياسية للمفتي الحاج أمين الحسيني بين عهدين: ثورة 1936 وما قبلها،" ص 430.

[56] John Marlowe, *Rebellion in Palestine* (London: The Cresset Press, 1946), p. 74.

[57] Ibid.

[58] علي عطية، "الزعامة السياسية للمفتي الحاج أمين الحسيني بين عهدين: ثورة 1936 وما قبلها،" ص 433.

[59] المرجع نفسه، ص 431.

[60] أحمد الشقيري، **أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية**، ص 184.

[61] علي عطية، "الزعامة السياسية للمفتي الحاج أمين الحسيني بين عهدين: ثورة 1936 وما قبلها،" ص 432.

[62] المرجع نفسه؛ وإميل الغوري، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ص 56–58، و84.

[63] Christopher Sykes, *Cross Roads to Israel* (London: The New English Library, 1967), p. 138.

[64] بيان الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين**، ص 660 و664.

[65] علي عطية، "الزعامة السياسية للمفتي الحاج أمين الحسيني بين عهدين: ثورة 1936 وما قبلها،" ص 428، و431، و433.

[66] المرجع نفسه، ص 434.

[67] زهير الماريني، **ألف يوم مع الحاج أمين الحسيني**، ص 200–202؛ وفلاح خالد علي، **فلسطين والانتداب البريطاني 1939–1948** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980)، ص 109–110.

[68] زهير الماريني، **ألف يوم مع الحاج أمين الحسيني**، ص 171.

[69] خليل السكاكيني، **كذا أنا يا دنيا**، ص 367.

[70] بيان الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين**، ص 144–145.

[71] حول شخصية القسام بالتفصيل، انظر: محسن محمد صالح، **التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد**، ص 231–247.

[72] صبحي ياسين، **الثورة العربية الكبرى في فلسطين: 1936–1939** (القاهرة: وزارة الثقافة، دار الكتاب العربي، 1967)، ص 33.

[73] إميل الغوري، **فلسطين عبر ستين عاماً**، ص 248.

[74] عوني العبيدي، **ثورة الشهيد عز الدين القسام وأثرها في الكفاح الفلسطيني** (الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار، د.ت)، ص 9.

[75] بيان الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين**، ص 317–318.

[76] سميح حمودة، **الوعي والثورة: دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام 1882–1935**، ط 2 (عمَّان: دار الشروق، 1986)، ص 42.

[77] انظر: صبحي ياسين، **الثورة العربية الكبرى**، ص 31؛ وأكرم زعيتر، **الحركة الوطنية الفلسطينية 1935–1939: يوميات أكرم زعيتر** (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1980)، ص 30؛ ومحمد نمر الخطيب، **من أثر النكبة** (دمشق: المطبعة العمومية، 1951)، ص 87.

[78] بيان الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين**، ص 324؛ وكامل خلة، **فلسطين والانتداب البريطاني 1922–1929** (طرابلس، ليبيا: المنشأة العامة للنشر، 1982)، ص 584.

[79] صبحي ياسين، **حرب العصابات في فلسطين** (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر – دار الكتاب العربي، د.ت)، ص 79؛ وصبحي ياسين، **الثورة العربية الكبرى**، ص 33–34.

[80] صبحي ياسين، **الثورة العربية الكبرى**، ص 33–34.

[81] إبراهيم الشيخ خليل، "رسالة من مجاهد قديم: ذكريات مع القسام،" مجلة **شؤون فلسطينية**، مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، رام الله، العدد 7، آذار/ مارس 1972، ص 267–268؛ وبيان الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين**، ص 323.

[82] صبحي ياسين، **حرب العصابات في فلسطين**، ص 68؛ ومحمد عزة دروزة، **فلسطين وجهاد الفلسطينيين**، ص 29.

[83] عبد الستار قاسم، **الشيخ المجاهد عز الدين القسام** (بيروت: دار الأمة للنشر، 1984)، ص 99.

[84] كامل خلة، **فلسطين والانتداب البريطاني 1922–1929**، ص 584.

[85] علي حسين خلف، **تجربة الشيخ عز الدين القسام** (عمّان، الأردن: دار بن رشد، 1984)، ج 1، ص 53–54؛ ومحمد نمر الخطيب، **من أثر النكبة**، ص 88؛ وانظر أيضاً:

S. Abdullah Schleifer, "The Life and Thought of Izziddin Al-Qassam," *The Islamic Quarterly* Journal, Islamic Cultural Centre, United Kingdom, vol. 23, no. 2, 1979, p. 75.

[86] صبحي ياسين، **حرب العصابات في فلسطين**، ص 70.

[87] المرجع نفسه.

[88] عوني العبيدي، **ثورة الشهيد عز الدين القسام وأثرها في الكفاح الفلسطيني**، ص 42.

[89] كامل خلة، **فلسطين والانتداب البريطاني 1922–1929**، ص 593–594؛ وعبد الستار قاسم، **الشيخ المجاهد عز الدين القسام**، ص 64–65؛ وانظر أيضاً:

The Palestine Police Force, *Annual Administrative Report, 1935* (Jerusalem: Government Printing Press, n.d), p. 40.

[90] صبحي ياسين، **الثورة العربية الكبرى**، ص 40.

[91] **وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1918–1939: من أوراق أكرم زعيتر**، ص 397؛ وانظر أيضاً:
Police Report, 1935, p. 40.

[92] عبد الستار قاسم، **الشيخ المجاهد عز الدين القسام**، ص 66–67.

[93] أكرم زعيتر، **الحركة الوطنية الفلسطينية 1935–1939: يوميات أكرم زعيتر**، ص 32.

[94] صبحي ياسين، **الثورة العربية الكبرى**، ص 39–41.

[95] محمد عزة دروزة، **العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين وما جاورها** (بيروت: دار الكلمة، 1980)، ج 2، ص 52.

[96] محمد نمر الخطيب، **من أثر النكبة**، ص 88.

[97] كامل خلة، **فلسطين والانتداب البريطاني 1922–1929**، ص 594.

[98] Despach, High Comissioner of Palestine to Secretary of State for the Colonies, 7 December 1935, Secret, C.O. (Colonial Office-London), 733/297/1.

[99] عبد الستار قاسم، **الشيخ المجاهد عز الدين القسام**، ص 106.

[100] حسن البنا، **مذكرات الدعوة والداعية**، ط 5 (بيروت – دمشق: المكتب الإسلامي، 1983)، ص 28.

[101] حسن البنا، **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**، ص 271–273.

[102] المرجع نفسه، ص 156–157.

[103] حسن البنا، **مذكرات الدعوة والداعية**، ص 198–199.

[104] Abd al-Fattah M. El-Awaisi, *The Muslim Brothers and the Palestine Question 1928–1947* (London, New York: Tauris Academic Studies, 1998), p. 162.

[105] حول نشأة جماعة الإخوان في فلسطين، انظر: محسن محمد صالح، **التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد**، ص 438–445.

[106] بيان الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين**، ص 405.

[107] Abd Al-Fattah El-Awaisi, *The Muslim Brothers and the Palestine Question*, p. 155.

[108] محسن محمد صالح، **التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد**، ص 447–450؛ وبيان الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين**، ص 503.

[109] بيان الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين**، ص 794.

[110] انظر أسماء أعضاء اللجنة القومية في القدس في: بيان الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين**، ص 906؛ وانظر: محسن محمد صالح، "أضواء وثائقية على جماعة الإخوان المسلمين في القدس سنة 1946،" **مجلة الدراسات الفلسطينية**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، المجلد 15، العدد 58، ربيع 2004، ص 67–83.

The Road to Jerusalem

A Historical Study of the Islamic Experience in the Land of Palestine From the Time of the Prophets to the Twenty First Century

هذا الكتاب

فلسطين... الأرض المباركة، ساحة الصراع الدائم بين الحق والباطل، منذ أن رفع إبراهيم عليه السلام راية الحق والتوحيد فيها وأجيال الأنبياء والصالحين والشهداء تتوارثها وتتداولها، تحافظ على هويتها وأصالتها. كلما أَنَّت الأرض المقدسة من وطأة الغاصبين، كلما جاء من أهل الحق من يجلو عنها الظلام، لتشرق من جديد بنور التوحيد.

هذا الكتاب... يستعرض التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء إلى عصرنا (حتى سنة 2022)، يدرس الفتح الإسلامي لفلسطين، وتجربة تحريرها من أيدي الصليبيين والتتار، ويستقرئ واقعها الحديث والمعاصر منذ أواخر الدولة العثمانية؛ ويسلّط الضوء على دور التيار الإسلامي في الانتفاضات والثورات والعمل المقاوم، ضد الاحتلال البريطاني والكيان الصهيوني، بما في ذلك أدوار الحاج أمين الحسيني، وحركة القسام "الجهادية" والإخوان المسلمين وحماس والجهاد الإسلامي...

إنه دعوة لاحتفاظ الأمة بأصالتها والإصرار على حقها، وتأكيد على أن الكيان الصهيوني الغاصب إنما هو مرحلة من تاريخ الصراع وحلقة من سلسلته، وسيزول كما زال من سبقه من أهل الباطل، عندما تثوب الأمة المسلمة إلى رشدها وتستجمع عوامل قوتها ووحدتها ونهضتها.

هذا الكتاب... يستجيب لرغبة الكثير من القراء في التعرف على مجمل تاريخ فلسطين وقضيتها من وجهة نظر إسلامية، وهو كتاب أكاديمي موثّق من الناحية العلمية، حافل بالمعلومات، ولكنه جاء سهلاً بعيداً عن الجفاف والجمود، كما سعى لأن يستلهم مواطن العبرة والعظة، دونما حاجة لخطابة عاطفية أو إنشاء.

ISBN 978-614-494-036-5

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب.: 14-5034 بيروت – لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net